ـ آه ! هكذا اذن كذبت ! انني أرى الآن أنك كنت تكذب ! لقد كنت كاذبا في كل شيء . لن أصدقك ! كلا ، لن أصدقك !

وسقطت شبه مغمى عليها على المقعد الذي بادر سفبدريكايلوف الى تقديمه اليها :

ـ ما بك ، يا أفدونيا رومانوفنا ؟ تمالكي نفسك ! اليك جرعة من الماء . اشربي .

ونضح على وجهها قليلا من الماء فانتفضت دونيا وعادت الى صوابها .

غمغم سفبدريكايلوف محدثا نفسه، وقد بدا الانزعاج على وجهه:

ـ يا للأثر الذي خلفه ذلك في نفسها ؟!

ثم تابع بصوت مرتفع :

ـ يا أفدونيا رومانوفنا اهدئي ! انك تعرفين أن له أصدقاء ! لسوف ننقذه ونخلصه من محنته ! أتريدين أن أساعده على اجتياز الحدود ؟ ان لدي ما يلزم من المال وأستطيع الحصول على جواز سفر له خلال ثلاثة أيام . أما بشأن ارتكابه جريمة قتل فانه يستطيع في المستقبل أن يعمل كثيرا من الأعمال الصالحة التي تمحو هذه الخطيئة فاطمئني . قد يستطيع أن يصبح رجلا كبيرا . هيا ، ماذا بك ؟ كيف تشعرين بنفسك ؟

ـ أيها الرجل الخبيث ! ويحك، انك تجد وسيلة للتهكم . دعني .

ـ ولكن أين تذهبين ؟.. الى أين تمضين ؟

ـ اليه . أين هو ؟ هل تعرف مكانه ؟ لم هذا الباب مغلق بالمفتاح؟ لقد دخلنا من هنا وها هو الباب مغلق بالمفتاح . متى استطعت اغلاقه ؟

ـ ليس من الضروري أن نهتف على رؤوس الأشهاد معلنين ما نتحدث عنه . انني لا أسخر مطلقا ، وقد كفاني ما تحدثت به حتى

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الآن • ولكن أين تمضين هكذا ؟ هل تريدين أن يوقف ؟ لسوف تثيرين حفيظته فيذهب بنفسه ويستسلم • اعلمي أنهم الآن يراقبونه ويتأثرون خطاه ، وأنك بذهابك اليه تعجلين نهايته • انتظري : لقد كنت معه منذ قليل وتحدثت اليه • اصبري واجلسي • سوف نفكر معا فيما ينبغي عمله • لقد دعوتك من أجل هذا ، لكن أتحدث معك في خلوة فنناقش الموضوع مناقشة عميقة • لكن اجلسي !

ـ كيف تستطيع انقاذه ؟ هل يمكن انقاذه ؟

جلست دونيا ، فجاء سفيدريكايلوف وجلس الى جانبها ! وقال بهمس ، وقد اتقدت عيناه ببريق خاطف :

ـ ان الأمر يتوقف عليك • وعليك وحدك •

كان يجد صعوبة كبيرة في ايجاد الكلمات ، بل أن اضطرابه وانفعاله حالا دونه والتلفظ ببعضها •

ذهلت دونيا وتراجعت الى مسافة بعيدا عنه• كان سفيدريكايلوف نفسه يرتعد من قمة رأسه الى أخمص قدميه • تابع :

ـ أنت ••• كلمة منك فيها نجاته ! سوف ••• سوف أنقذه• ان لي أصدقاء وما يكفي من المال • سوف أسعى لترحيله وسأحصل على جوازين أحدهما له والآخر لي • ان لدي أصدقاء شديدي الاخلاص لي • هل تريدين ؟ ما بهمك راروميخين ؟ ان حبي لك ليس أدنى من حبه ••• انني أحبك بكل عواطفي • دعيني أقبل طرف ثوبك • دعيني، دعيني أعمل ذلك ! انني لا أستطيع الاصغاء الى حفيف ثوبك • مريني أن اعمل شيئا بعينه وسأعمله • المستحيل ، سأعمل • سأؤمن بما تؤمنين به وسأعمل كل شيء ••• كل شيء ! لا تنظري الي هكذا، لا تنظري الي هكذا • انك تعرفين بأنك تقتلينني !

راح يهذي وقد وقع فريسة شيء ما • وبدا كأنه فقد صوابه •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقفزت دونيا الى الباب وصاحت خلال ثقب القفل وكأنها تدعو أحدا لنجدتها • بينما راحت يداها تهزان الباب بعنف •

ـ افتحوا ! افتحوا ! هيا افتحوا ! ألا يوجد أحد في البيت ؟

تمالك سفيدريكايلوف نفسه ، فتناهض وقد بدت على وجهه ابتسامة خبيثة مستهزئة ، ومر بلسانه على شفتيه المرتجفتين ، ثم قال ببطء وبصوت متهدج :

ـ لا يوجد أحد في البيت • ان صاحبة المسكن قد خرجت وانك لتضيعين وقتك بالصياح • انك تسببين لنفسك اضطرابا لا فائدة منه•

ـ أين المفتاح ؟ افتح الباب فورا • افتحه على الفور ، أيها المخلوق النذل !

ـ لقد أضعت المفتاح ولا أستطيع ايجاده •

صاحت دونيا ، وقد شحب وجهها حتى حاكى وجوه الأموات :

ـ آه ، انه اغتصاب ! •••

واندفعت الى أحد الأركان حيث احتمت وراء نضد صغير كان قريبا منها • لم تعد تصيح • لكنها كانت تصعق جلادها بنظراتها وهي متيقظة لكل حركة من حركاته • غير أن سفيدريكايلوف لم يتحرك من مكانه بل لبث واقفا قبالتها في الجانب الآخر من الحجرة • استطاع ـ ظاهريا على الأقل ـ أن يضبط أعصابه رغم أن وجهه ظل شاحبا والابتسامة الساخرة لم تفارق شفتيه •

ـ لقد تحدثت عن الاغتصاب ، يا أفدونيا رومانوفنا • انها لو كانت خدعة لأمكنك التفكير بأنني اتخذت كل احتياطاتي : فصوفي سيميونوفنا غير موجودة في غرفتها ويفصلنا عن آل كابيرناوموف خمس غرف مغلقة بالمفاتيح • ثم انني أقوى منك مرتين على الاقل • وإلى جانب ذلك فانني لا أخشى شيئا آخر • لن تستطيعي شكايتي الى

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

المسؤولين لأنك لا تريدين خيانة أخيك ، أليس كذلك ؟ ثم ان أحـدا لن يصدقك ! اذ كيف يجوز أن تدخل فتاة بمفردها مسكن رجل ؟ على هذا فانك ستفقدين أخاك دون أن تستطيعي التدليل علي بشيء رغم ذلك • انه من الصعوبة بمكان أن تثبتي وقوع الاغتصاب ، يا أفدونيا رومانوفنا •

غمغمت دونيا بغيظ وحنق :

ـ سافل !

ـ اذا شئت • لكن لاحظي أن كل ما قلته لم يكن الا مجـرد عرض • انني موافق شخصيا على أنك على صواب تماما ! ان الاغتصاب شناعة وفاحشة قبيحة • لقد تحدثت معك فقط لأفهمك بأن ضميـرك لن يشعر مطلقا بأي تبكيت اذا ••• حتى ولو وافقت بملء رضاك على انقاذ أخيك كما عرضت عليك فانك تكونين بذلك قد استسلمت للظروف أو للقوة اذا جاز لنا أن ننطق بهذه الكلمة • فكري أن مصير أخيـك وأمك بين يديك • سأكون عبدك ••• طيلة عمـري ••• انني أنتظرك هنـا ؟

جلس سفيدريكايلوف على الأريكة على بعد ثماني خطوات من دونيا • وما كانت هذه لتشعر بأي شك في تصميمـه عـلى مـا قال، خصوصا وأنها ما كانت تجهل عقليته •

وفجأة أخرجت من جيبها مسدسا صلته وأراحت يدها على النضد دون أن تترك المسدس • فنهض سفيدريكايلوف فجأة وهتف بدهشة وهو يتهكم بخبث :

ـ آه ! آه ! هكذا اذن ؟ ان هذا يبدل الموقف من أقصاه إ لقد سحبت من قدمي يا أفدونيا رومانوفنا شوكة مؤلمة كما يقال • لكن من أين لك هذا المسدس ؟ هل جاءك من السيد رازوميخين ؟ هه ، لكنـه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مسدسي ! انني واياه صديقان قديمان ! ويحي كم فتشت عليه فيحينه! ان دروس الرماية التي كان لي شرف تلقينك اياها في الريف لم تذهب ـ كما يبدو ـ هباء .

ـ انه ليس مسدسك ، بل مسدس مارت بيتروفنا التي قتلتها أيها الاثيم ! انك لم تكن تملك شيئا في بيتها . لقد أخذته عندما ارتبت في نواياك . وفيما تستطيع عمله . أقسم لك أنك اذا خطوت خطوة واحدة قتلتك !

كانت دونيا في أوج غضبها وانفعالها . وكانت تمسك المسدس معدا للاطلاق .

سأل سفيدريكايلوف ، وهو واقف في مكانه لا يبرحه :

ـ وأخوك ؟ انني ألقي عليك هذا السؤال لمجرد الفضول .

ـ فلتتش به اذا شئت ! لا تتحرك ! لا تقترب! سأطلق! لقد سممت زوجتك وأنا أعرف ذلك . انك أنت أيضا قاتل ...

ـ هل أنت واثقة من أنني دسست السم لمارت بيتروفنا ؟

ـ انه أنت !.. لقد ألمحت بذلك مرة أمامي . لقد حدثتني عن نوع من السم .. انني أعرف أنك ذهبت تستحضره ... ان كل شيء كان معدا ... انه أنت ... لا يمكن أن يكون أحد غيرك ، أيها الحقير !

ـ لنفرض أن هذه هي الحقيقة ، فانني أكون قد عملت ما عملت من أجلك .. انك تكونين السبب .

ـ كاذب . لقد كنت أمقتك دائما .

ـ اه ، اه ، يا أفدونيا رومانوفنا ! أرى أنك نسيت كيف كنت تنحنين علي وأنت في شبه اغماء تحت وطأة تبشيرك بالفضيلة ... انني كنت أقرأ في عينيك : تذكري ذات مساء تحت ضوء القمر . لقد كان هناك بلبل يغرد .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ومضت حدقتا دونيا بلهيب الغضب وصاحت :

ـ كاذب ! انك تكذب ، أيها المفتري الأثيم !

ـ أنا أكذب ؟ حسنا انني أكذب . لقد كذبت . لكن .

وضحك ضحكة تقلص لها وجهه ، وأردف :

ـ لا يليق بي تذكير النساء بمثل هذه الامور . انني أعرف أنك تطلقين النار ، أيها الحيوان الصغير الجميل . حسنا لعمري اطلقي !

صوبت دونيا مسدسها وهي شاحبة كالموتى مرتعدة الشفة بيضاؤها ، ونظرت اليه بعينين سوداوين يشع منهما اللهيب ، تفيضان بالعزم والتصميم ، وسددت الفوهة نحوه وانتظرت أن يخطو خطوة واحدة . لم يرها سفيدريكايلوف أجمل مما كانت عليه أبدا . كان الوميض الذي ينبعث من عيني الفتاة وهي تصوب المسدس اليه يزيد في تأجج عواطفه حتى أنه شعر بقلبه يصهره الألم . تقدم خطوة ودوى الانفجار ! مست الرصاصة شعره واصطدمت بالجدار فتوقف وابتسم بوداعة :

ـ لقد لسعتني النحلة ! انها تصوب مباشرة الى الرأس . ما هذا؟ دم ؟

أخرج منديله من جيبه ليمسح الخيط الرفيع من الدم الذي راح يسيل على صدغه الأيمن ، اذ يبدو أن الرصاصة خدشت رأسه .

خفضت دونيا المسدس ونظرت الى سفيدريكايلوف بذهول مريع لا يخلو من الخوف ، بدت كأنها لم تفقه شيئا مما عملت منذ حين . بينما تابع سفيدريكايلوف بهدوء دون أن تفارقه الابتسامة وقد انطبع وجهه بمسحة من الحزن العميق :

ـ حسنا لقد أخطأتني . أطلقي مرة أخرى . انني أنتظر والا فانني سأجد من الوقت متسعا للقبض عليك قبل أن تستطيعي . صلي الزناد من جديد .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ارتعدت دونيا وأعدت مسدسها بسرعة وسددته مرة أخرى وقالت بيأس :

ـ دعني والا فأقسم لك أنني سأطلق عليك مرة أخرى ... سوف ... أقتلك .

ـ ثم ماذا بعد ؟ انني على قيد ثلاث خطوات منك . ويستحيل عليك أن تخطئي . لكنك اذا لم تفعلي ... عندئذ ...

كانت عيناه تومضان ، فاقترب منها خطوتين ، وضغطت دونيا على الزناد ، لكن الرصاصة لم تنطلق .

ـ لم تحسني صلية . لا بأس ! لا زال لديك خرطوشة . أعديها . سوف أنتظر .

كان سفيدريكايلوف واقفا على قيد خطوتين منها منتظرا وهي تنظر اليه . كان في عينيه تصميم وحشي مفعم ببريق شهواني مقيت . أدركت دونيا أنه يفضل الموت على تركها ... و ... ولا شك أنها ستقتله الآن وهو على بعد خطوتين فقط .

وفجأة ألقت بالمسدس من يدها .

هتف سفيدريكايلوف وهو يزفر زفرة عميقة وكأن قلبه قد تحرر من ثقل ساحق :

ـ لقد ألقته !

لم يكن قلقا بسبب الموت المرتقب اذ أنه كان من المستحيل فيه أن يكون شاعرا بمثل هذا الاحساس في تلك اللحظة . كان مستغرقا في شعور قاتم متطير كان يحار في تفسيره ومعرفة بواعثه . اقترب من دونيا وطوقها بذراعه برقة فلم تقاوم بل نظرت اليه مرتعدة كالورقة الجافة في مهب الريح العاتية . كان في نظراتها ضراعة وتوسل . كانت تريد أن تقول شيئا لكن شفتيها ما كانتا لتسعفانها بالنطق . استطاعت بعد لأي أن تبتهل اليه قائلة :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ دعني .

قالتها بلغة المخاطب المفرد خلافا لأسلوبها في الحديث ، فشعر سفيدريكايلوف برعشة انتفض لها جسمه وأحس أن لهجتها في تلك اللحظة كانت مختلفة تماما عما سبقها من قبل .

سألها بلطف :

ـ على ذلك فلن تحبيني .

هزت دونيا برأسها نفيا .

كرر القول بهمس ويأس :

ـ ولا ... يمكنك أن تحبيني ؟ أبدا ؟

غمغمت دونيا :

ـ أبدا .

عصفت معركة صامتة رهيبة في نفس سفيدريكايلوف خلال لحظة خاطفة . تأملها بنظرة يستحيل وصفها ثم رفع ذراعه من حولها فجأة واستدار يوليها ظهره ، واتجه نحو النافذة حيث لبث واقفا . وانقضت لحظات .

ـ اليك المفتاح . خذيه واذهبي بسرعة !

كان قد أخرج المفتاح من جيبه الأيسر ووضعه وراءه على المنضدة دون أن ينظر الى دونيا .

اقتربت دونيا من المنضدة لتأخذ المفتاح فهتف سفيدريكايلوف دون أن يلتفت أو يقوم بحركة :

ـ أسرعي ، عجلي !

كان في هذه الكلمة ، كلمة « أسرعي » ، صدى غريب .

فهمت دونيا كل شيء فأخذت المفتاح واندفعت نحو الباب تفتحه وهرعت خارجة من الغرفة . ولم تمض دقيقة حتى كانت تجري على طول القنال باتجاه جسر « ايكس » وهي كالمخبولة المسعورة .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لبث سفيدريكايلوف ثلاث دقائق قرب النافذة ثم استدار ببطء ونظر حوله • رفع يده بحركة بطيئة الى جنبيه فقلصت قسمات وجهه بابتسامة غريبة ، ابتسامة باهتة حزينة ، ابتسامة يائسة • كان الدم قد تجمد على يده فنظر الى ذلك الدم بشيء من الغضب ثم غمس قطعةمن القماش في الماء وغسل صدغه • وقع بصره على المسدس الذي ألقتــه دونيا والذي كان قد تدحرج حتى بلغ قرب الباب • كان مسدسا قديما ذا ثلاث طلقات يمكن وضعه في الجيب وكان فيه طلقتان و «كيسولة» واحدة يمكن استخدامها • فكر برهة ثم دس المسدس في جيبه، وحمل قبعته وخرج •

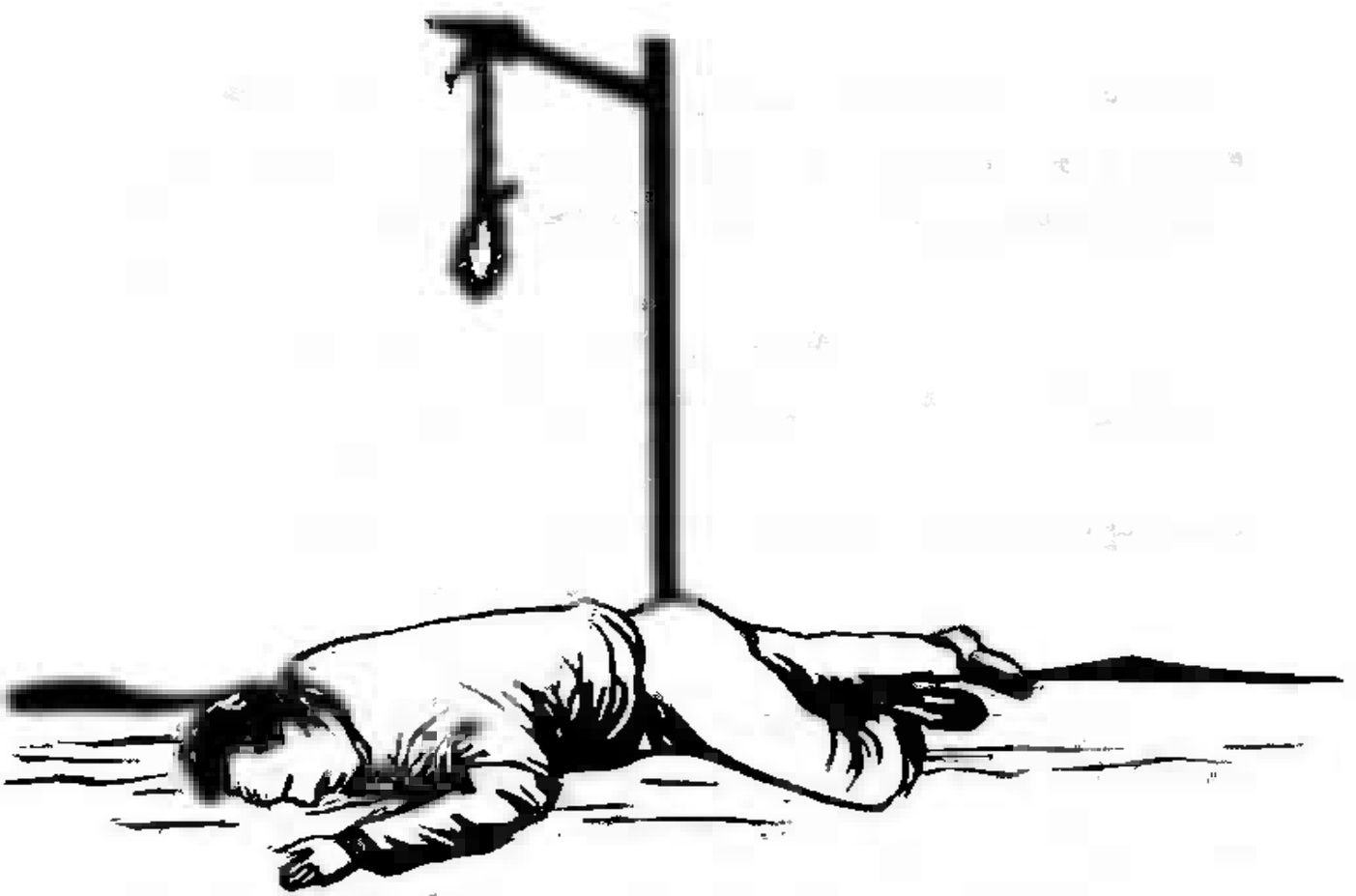

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٦

طاف ذلك المساء بالبؤر والمواخير واحدة واحدة حتى تجاوزت الساعة العاشره وعثر على كاتبا في واحده منها ، ففتنته احدى أغنياتها المبتذلة التي تتحدث عن « رجل جائر بشع » :

الذي راح يعانق كاتبا ...

قدم سفيدريكايلوف الشراب اليها والى عازف الارغن الذي يرافقها ، وكذلك الى المغنين الآخرين والخدم واثنين أو ثلاثة من الكتبة العموميين ، واستغرق معهم في الحديث . كان أنف أحد هؤلاء الكتبة منحنيا الى اليمين وأنف الآخر ملتويا الى اليسار مما أثار انتباهه ، فرافقهم بعد ذلك الى حديقه سمر حيث دفع عنهم أجرة دخولهم ! كانت تلك الحديقة تنتزع اسمها من شجرة صنوبر واحدة مغروسة فيها، والى جانبها ثلاث مجموعات من الشجيرات الصغيرة هي كل ما أوجبت اطلاق هذا الاسم على ذلك المكان ! وكان وراءها بناء أطلق عليه ـ تجنيا ـ اسم فوكسهول (حديقة عامة تقام فيها حفلات موسيقية راقصة) رغم أنه كان مجرد مشرب حقير يستطيع المرء أن ينعم بقدح من الشاي وأن يجلس الى واحدة من موائده المطلية بالاخضر وهو الطلاء الذي كان يكسو كذلك خشب المقاعد . كان هناك فرقة من المغنين تفوق رداءة أصواتهم حد الوسط ، وألماني من مونيخ ، ثمل أحمر الانف ، كان يقوم بدور المشعوذ رغم سيماه الكئيب . وكانت مهمة هؤلاء الترفيه عن الزبائن !

اشتبك الكاتبان العموميان في شجار مع عدد من زملائهما كاد

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أن يبلغ مرتبة استعمال الأيدى ، وانتدب سفيدريكايلوف للقيام بدور الحكم بينهم • وقد مضى على صدور حكمه أكثر من ربع ساعة دون أن يكف الفريقان عن الصياح والمهاترة والصخب ، الأمر الذي جعل سفيدريكايلوف عاجزا عن فهم أي شيء من الحديث • لكنه خمن ـ حسب كل الظواهر ـ أن أحدهم كان قد سرق شيئا ما ونجح بعد ذلك في بيعه الى أحد اليهود ، لكنه رغم ذلك كان يرفض اقتسام الثمن مع الباقين • وظهر أخيرا أن ذلك الشيء كان ملعقة شاي سرقت من ذلك « الفوكسهول » ، فافتضح الامر واكتشفت السرقة وبدأت القضية تتأزم وتقترب من النهاية المزعجة • وأخيرا اضطر سفيدريكايلوف الى دفع ثمن الملعقة وغادر حديقة السمر !

كانت الساعة حوالي العاشرة ، وسفيدريكايلوف لم يشرب شيئا رغم ذلك التجوال بل انه اضطر ـ مراعاة للشكل فقط ـ أن يأمر لنفسه بقدح من الشاي لم يقربه ! كان الجو خانقا والسماء سوداء من الغيوم ، كانت السحب الكثيفة قد بدأت تجتمع في سماء بطرسبورغ آتية من جميع الآفاق المحيطة بها • وفجأة هبت العاصفة الصيفية وهطلت الامطار غزيرة وكأنها تنصب من أفواه القرب • لم تكن حبات المطر التي تساقطت في تلك الساعة من السماء ، بل كانت سواقي حقيقية من المياه تنهال بعنف على سطح الارض • وراح البرق يتعاقب فيضيء السماء والارض وما بينهما حتى كان المرء يستطيع أن يعد الى خمسة قبل أن يخبو الوميض الخاطف •

بلغ سفيدريكايلوف مسكنه بعد جهد عنيف وقد ابتلت عظامه تحت الثياب • ففتح درج مكتبه وأخرج كل ما يملكه من أسهم الانتفاع، ومزق ورقتين أو ثلاث أوراق ثم أودع أمواله في جيبه • أراد بادىء الأمر أن يبدل ثيابه لكنه بعد أن نظر من النافذة وأصغى الى أصوات

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

العاصفة في الخارج ، لوح بيده بلا مبالاة وعاد فأخذ قبعته وخرج دون أن يغلق الباب . قصد مباشرة مسكن سونيا فوجدها في غرفتها .

لم تكن سونيا وحيدة في غرفتها حينما دخل سفيدريكايلوف ، بل كان يجلس حولها أربعة من صغار أطفال آل كابيرناوووموف ، كانت تسقيهم الشاي . فاستقبلته هذه بنظرة احترام وخضوع ونظرت بدهشة الى ثيابه المبتلة دون أن تتفوه بكلمة . بينما فر الاطفال الاربعة من الحجره يمتلكهم رعب لا يوصف !

قال سفيدريكايلوف :

ـ يا صوفي سميونوفنا ، قد أسافر الى أمريكا قريبا ولعل هذا اللقاء هو الاخير من نوعه بيننا اذا آمنا بكل الظواهر البادية في الوقت الحاضر . لذلك فقد جئت أسوى بعض الأمورِ . أخبريني ، هل ذهبت لرؤية تلك السيدة ؟

بدرت عن سونيا محاولة للكلام ، واحمر وجهها ، فقاطعها مسترسلا :

ـ انني أعرف كل ما قالته لك فلا حاجة بك الى تكراره . ان هؤلاء الناس يمتازون بلباقة مهنية خاصة ! ان أخواتك وأخاك الصغار سيكونون في مأمن من العادبات ، وقد دفعت المبلغ الذي خصصته لهم بنفسي وحصلت على ايصالات أودعتها الجهات المسؤولة ، وها انني أقدم لك الآن « اشعارات الاستلام » لتحتفظي بها خشية حدوث أي طارىء . هذا فيما يتعلق بالاطفال . أما أنت ، فاليك ثلاثة سندات انتفاع تدر عليك سنويا خمسة بالمائة من قيمتها الاساسية . أطلب اليك أن يظل هذا سرا بيننا لأنني لا أريد أن يعرف الأمر أحد . سوف تساعدك هذه السندات في مستقبل الأيام ، يا صوفي سيميونوفنا ، لأنك لم تستطيعي متابعة العيش كما كنت في الماضي ، خصوصا وأن الأعباء

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

التي أيقظتك بالامس لم يعد لها وجود اليوم .

تمتمت سونيا :

ـ لقد غمرتني حتى الآن بعطفك ومساعداتك ... وكذلك الايتام و ... والمتوفاة رغم أنني حتى الان لم أشكرك على حسن صنيعك .. فلا تظهر أن ..

ـ هيا ، هيا ، هذا يكفي ، هذا يكفي !

ـ أما هذا المال يا أركاد ايفانوفيتش فانني شديدة الامتنان لك، ولكنني لست في حاجة اليه في الوقت الحاضر. سوف أستطيع اكتساب قوتي بنفسي بعد اليوم ، فأرجو أن لا تتهمني بالجحود . وبما أنك تواق الى فعل الخير كما لمست حتى الآن فان هذا المال ...

ـ انه لك يا صوفي سيميونوفنا ، فأرجوك أن تقبله ولا حاجة الى الشكر المطول لأنني في عجلة من أمري . ان هذا المال سينفعك ، لأن أمام روديون رومانوفيتش طريقتين لا ثالث لهما : اما أن ينتحر ، واما أن يمضي الى سيبيريا .

فنظرت اليه سونيا مروعة وقد اجتاحت جسمها رعدة عنيفة !

ـ لا تقلقي . انني أعرف كل شيء . انه حدثني بنفسه بكل شيء لكنني لست ثرثارا. لن أتحدث بما أعرف الى أي كان. لقد نصحته أنت آخر مرة بالذهاب الى قسم البوليس والاعتراف بفعلته ، وانها لنصيحة ثمينة نافعة . حسنا ، لسوف تصحبينه الى سيبيريا متى حان الوقت، أليس كذلك ؟ اذن ، طالما الأمر كذلك فستكون حاجتك الى النقود ماسة . سوف تحتاجين اليها من أجله ، فهل تفهمني ؟ انني اذ أعطيك هذا المبلغ فكأنني أقدمه اليه . ثم انك وعدت أميلي ايفانوفنا بتسديد دينها . لقد سمعت هذا الوعد . ألا تدركين أن كاترين ايفانوفنا هي المدينة لتلك الالمانية وليس أنت ؟ لذلك فانك كنت تستطيعين ارسال

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تلك الالمانية الى الشيطان ! ما هكذا يتصرف المرء في هذه الحياة ؟.. هيا ، اذا سألك بعضهم ، ولنقل غدا أو بعد غد ، عني فلا تتحدثي عن زيارتي هذه ولا تلمحي بأية كلمة الى المال الذي أقدمه لك الان ، الى اللقاء !.

نهض واقفا ، وأردف قبل أن يخرج :

ـ تحياتي الى رودیون رومانوفيتش . وعلى فكرة ، سلمي هذه السندات التي أعطيتها لك الى السيد رازوميخين بانتظار حاجتك اليها. هل تعرفين السيد رازوميخين ؟ لا شك أنك تعرفينه ، انه شاب باسل ! احمليها اليه غدا أو ... عندما تجدين الوقت المناسب . ولكن احتفظي بها بانتظار ذلك الوقت في مكان أمين .

كانت سونيا قد نهضت كذلك بدورها وراحت تنظر اليه بهلع. كانت تريد التحدث بشيء ما ، القاء سؤال ما ، لكنها لم تجرؤ على شيء من ذلك . أرتج عليها فلم تنطق الا بكلمات لا تعبر عما في نفسها . قالت :

ـ انك اذن .. انك اذن ستذهب رغم هذا المطر المدرار ! ؟

ـ باه ! عندما ينوي المرء السفر الى أمريكا لا يجب أن يبالي بالمطر ! الى اللقاء ، يا صوفي سيميونوفنا . عيشي وعيشي طويلا، لسوف تكونين نافعة للآخرين. على فكرة ... قولي لرازوميخين بأنني أهنئه . قولي له : ان أركاد ايفانوفيتش سفيدريكايلوف يقدم اليك تهانيه . لا تنسي ذلك.

وخرج تاركا سونيا مذهولة مذعورة وقد غمرها شعور معين كان يثقل فؤادها ويؤلمه .

لم يكتفِ سفيدريكايلوف بهذه الخطوة اذ أنه توجه بعدها ـ وكانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة ـ الى منزل مخطوبته فقام

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هناك بزيارة غريبة لم يكن أحد يتوقعها ... دخل البنك الذي يقظته أبو خطيبته في فاسيلي أوستروف ، وكانت ثيابه شديدة الابتلال بسبب المطر الذي لم ينقطع حتى تلك اللحظة . كانت القطرات تتساقط من أطراف ثوبه ... قرع الباب قرعا متواصلا حتى فتح له . فأحدث دخوله المسكن هرجا كبيرا. غير أن أركاد ايفانوفيتش كان يمتاز بأساليب مغرية جذابة يستطيع استعمالها متى شاء لسفط عنه كل الريب والشكوك . وكذلك فان ذوي الفتاة ، الذين كانوا يفقدون اتزانهم أبدا ، ما كادوا يكونون فكرة ما حول مجيئه المفاجيء ومظهره ، حتى انهارت تلك الفكرة من تلقاء نفسها بعد الجمل الأولى من حديث سفيدربكايلوف . خمنوا أن أركاد ايفانوفيتش كان ثملا لذلك فانه ما كان يعقل ما يعمل. وكان هذا التخمين على جانب من الحقيقة رغم اختلاف الاسباب ...

هرعت أم المخطوبة الشفوق المتعقلة فقدمت اليه مقعد روجها الخرف السقيم .

كانت تلك المرأة العاقلة لا تطرح أبدا أسئلة مباشرة . فكانت ـ مثلا ـ اذا أرادت أن تعرف الموعد الذي يروق لأركاد ايفانوفيتش تحديده لزفافه ، ابتسمت أولا وفركت يديها ، ثم سألته بفضول ولهفة عن باريس والمجتمع الراقي فيها لتعود به تدريجيا الى الشارع الثالث على فاسيلي أوستروف ! وكان سفيدربكايلوف يصغي اليها من قبل بصبر وسكون بل وفي شيء من الطاعة . أما تلك المرة ، فانه بدا نافد الصبر متعجلا فطلب ـ ليقطع السبيل على المتحدثة ـ رؤية مخطوبته على الفور رغم أنهم أبلغوه منذ بدء الحديث أنها قائمة . ولا شك ـ طبعا ـ أن الفتاة جاءت لمقابلته بناء على طلبه الملحاح ! فانبأها دون لف ولا دوران بأنه عازم ـ بسبب ظروف استثنائية ـ على مغادرة بطرسبورغ خلال فترة من الزمن . لذلك فقد جاء يقدم لها آلفا وخمسمائة روبل أوراقا نقدية راجيا أن تتقبلها كهدية منه لأنه كان يود

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تقديم مثل ذلك المبلغ التافه هدية لها قبل الزواج . وعلى الرغم من انعدام الارتباط المنطقي بين ذلك التفسير والمبلغ المقدم الذي سيعقبه رحيل مفاجيء ، خصوصا وأن ذلك ما كان يبرر تلك الزيارة المتأخرة تحت ذلك المطر المدرار ، فان الأم والفتاة لم ترفعا اعتراضا واحدا. بل ان الاسئلة العادية وأمارات التعجب التي لا غنى عنها في مثل ذلك المقام لم تنطبع بطابع التحفظ والتعقل . لذلك فان « أكثر الامهات تعقلا » انقلبت فجأة الى لسان ينطق بالشكر العميق الحار الذي تبلله الدموع والعبرات . وأخيرا ، نهض أركاد ايفانوفيتش مبتسما وعانق مخطوبته وربت على خدها بلطف مؤكدا أن غيابه لن يطول ! ولما شاهد في عينيها فضولا ولهفة تجمع بين الجد والصبيانية ، فضولا يتجسد في سؤال صامت ، فكر قليلا ثم عاد فعانقها من جديد وهو يشعر بأسف بالغ على تفديمه تلك الهدية التي ستجعل أكثر الأمهات تعقلا حبيسة في صندوقها المغلق بالمفتاح .

خرج من المسكن تاركا وراءه حالة من الاضطراب العنيف . وتمكنت الأم الرؤوم من الوصول الى جواب على عدد كبير من الاسئلة وهي تعالج الأمر بهمس في غرفتها الحقيرة . فدرن أن سفدريكايلوف رجل هام ، رجل ذو أعمال جمه ، كثير المشاغل والعلاقات ، ثري مترف، وأن الله وحده يعلم ما طرأ في ذهنه حتى عزم على الرحيل وأعطى هذا المبلغ الى ابنتها قبل مغادرته العاصمة . فالأمر اذن لا يدعو الى الدهشة. صحيح أن من الغرابة أن يكون المرء مغرق الثياب بماء المطر . لكن أية غرابة في الموضوع اذا كان قد نهج به على الطريقة الانجليزية ؟ ثم ان رجال الوسط الراقي لا يبالون بأقاويل الناس وهم معتادون على النحرر من الارتباك ، فلعله تعمد المضي هكذا تحت المطر ليبرهن على أنه لا يخشى أحدا : لكن ينبغي الحذر وعدم الافصاح بكلمه واحدة عن هذا الأمر الى أي كان ، لأن الله وحده يعلم عندئذ الى أين سيقودهم افشاء

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هذا السر • وليبوف توضع الاموال في مخبأ أمين • ولا شك أن فوديسيا حسنة الحظ ، اذا كانت ستبقى في مطبخها لا تغادره ! ولكن للمرة الأخيرة ينبغي السكوت وعدم التحدث بشيء الى ريسليش أو الى أي آخر ••• الخ الخ ••• لبثت الأم وابنتها تتحدثان هكذا بهمس حتى بلغت الساعة الثانية رغم أن المخطوبه ، وان كانت تتصنع الاصغاء الى أمها ، الا أنها كانت مستغرقة في نوم عميق قبل ذلك بوقت طويل ، وهي فريسة الدهشة والحزن •

عندما قرعت الساعة الثانية عشرة كان سفيدريكايلوف يجتاز جسر « ايكس ••• » قاصدا بطرسبورغ القديمة • كان المطر قد انقطع عن التهطال ، غير أن الريح كانت تعصف بشده • كان يرتجف من البرد وقد أمضى دقيقة كامله وهو يسأل نفسه وعيناه تنظران الى مياه «النيفا» الصغير السوداء • قرر أخيرا أن الوقوف هنا فوق الماء يبعث البرد الشديد في أوصاله فاستدار على أعقابه وعاد الى شارع «ايكس ••» • سار طويلا في ذلك الشارع الذي لا ينتهي وأمضى قرابة نصف ساعة في سيره وتعثر أكثر من مرة في الظلام الحالك على الرصيف الخشبي• كان مصمما على البحث عن شيء يعتقد أنه كائن في مكان ما الى يمين الشارع ، اذ كان قد لاحظ خلال آخر مرة مر بها من هنا فندقا مشيدا من الخشب متسع الأرجاء كان اسمه ــ اذا لم تخنه ذاكرته ــ فندق آندرينوبل • وصدقت ظنونه وتخميناته ، اذ أن ذلك الفندق كان يشكل نقطة بارزة في بياض ذلك الشارع المقفر الضائع ، وكان يسهل الاهتداء اليه رغم الظلام •

كان ذلك الفندق بناء من الخشب اسود لونه بمرور الزمن وكان النور في تلك الساعة المتأخرة ــ يسطع فيه ، بل كان الضجيج ينبعث منه عاليا مسموعا • دخل وطلب غرفة من أجير زري الهيئة ، قابله في

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

المشى ، فألقى هذا نظرة على سفيدريكايلوف . ثم انحنى له ، وقاده الى غرفة صغيرة نائية ضيقة ، يعوزها الهواء ، واقعة في آخر المشى ، في زاوية تحت السلم ، ادعى أنها الغرفة الوحيدة الخالية . ووقف الخادم القذر وعلى وجهه امارات الاستفهام .

سأل سفيدريكايلوف :

ـ هل أجد لديكم شايا ؟

ـ نستطيع أن نهيئه لك .

ـ وماذا لديكم كذلك ؟

ـ لحم بقر مشوي ، وعرق ، ومقبلات .

ـ ائتني بلحم عجل وبقدح من الشاي .

سأل الخادم في شيء من التردد :

ـ ألست بحاجة الى شيء آخر ؟

ـ لا شيء ؟ لا شيء !

فابتعد الخادم وقد تبددت أحلامه .

حدث سفيدريكايلوف نفسه : « ينبغي أن يكون هذا الموضع نظيفا ! كيف شككت في الأمر ؟ يبدو أن مظهري يدل على أنني عائد للتو من احدى صالات الغناء أو انني استهدفت لمغامرة ما في الطريق. مع ذلك فانني تواق الى معرفة نوع من الناس الذين يوقفون هنا لقضاء ليلهم » .

أضاء سفيدريكايلوف الشمعة وراح يتفحص الغرفة بامعان . كانت قفصا صغيرا جدا، يتعذر على الرجل اذا كان يماثل سفيدريكايلوف قامة أن يقف فيها دون أن يلامس رأسه السقف . كانت لها نافذة واحدة وفيها سرير شديد القذارة ومنضدة من الخشب مغطاة بطبقة رقيقة من الدهان ، ومقعد كان يحتل تماما الفراغ القائم بين السرير والمنضدة كله .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كانت الجدران تبدو كأنها صنعت من ألواح الخشب المسمرة بعضها فوق بعض ، لصقت فوقها أوراق زينة بالية ممزقة ، يعلوها الغبار وتملؤها الثقوب ، حتى أن المرء لا يكاد يميز رسما واحدا على سطحها الأصغر . وكان قسم من الجدار والسقف مقطوعا بانحراف شأن كل الغرف التي تقع أسفل السلالم ، لكنها تمتاز عنها بأن السلم فيها كان منحرفا يشغل مساحة كبيرة من فراغها .

وضع سفيدريكايلوف الشمعة على المنضدة وجلس على السرير يفكر . لكن ضجة غريبة وأصواتا صاخبة ما انفكت تصك مسامعه . كانت تلك الأصوات ترتفع تارة حتى تبلغ مرتبة الصراخ ، وكانت تنبعث من الغرفة الملاصقة مما أثار فضوله ، لأن تلك الاصوات لم تخفت فترة واحدة منذ دخوله الغرفة . أصاخ السمع ، فتناهى اليه صوت أحدهم يشتم ويقرع آخر بصوت أقرب الى البكاء . لكن الآخر ما كان يرد عليه . نهض سفيدريكايلوف واقفا وأحاط زبالة الشمعة بيده ، فتبين اشعاعا من الضوء ينبعث من شق في الجدار ، اقترب منه وراح ينظر خلاله . رأى غرفة أكثر اتساعا من غرفته ، فيها شخصان كان أحدهما أشعث الشعر غزيره ، هضيم الوجه ، مرتديا قميصا حسر أكمامه عن ساعديه ، ووقف وقفة الخطباء وقد باعد بين ساقيه ليحافظ على توازنه . كان يضرب صدره ويعنف زميله بلهجة مؤثرة ، متهما اياه بأنه سافل عديم القيمة والكرامة الاجتماعية وأنه انتشله من الاوحال ويستطيع وحده اعادته اليها اذا شاء القادر العلي . أما الآخر الذي كان يحتمل هذا الكلام صامتا ، فقد كان جالسا على مقعد ، منقلص الوجه أشبه بمن يوشك على العطاس دون أن يوفق اليه ، فكان يلقي نظرة بلهاء مضطربة بين الحين والآخر الى وجه الخطيب المفوه . ولا شك أنه لم يكن يفهم شيئا من تلك البلاغة والحكم ، بل ولعله ما كان مصغيا اليها اطلاقا . وكان على المائدة أمامه شمعة تشرف على نهايتها ، والى جانبها

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

زجاجة عرق فارغة تقريبا ، وحولها أقداح صغيرة وكبيرة ، وقطع من الخبز والقثاء • وعلى الرغم من أن عدة الشاي كانت لا تزال بأقداحها وملاعقها وأطباقها مبعثرة على المائده ، فان الدلائل كلها كانت تشير الى أن الزميلين قد فرغا من تناوله منذ وقت طويل • وبعد أن تأمل سفيدريكايلوف هذه اللوحة فترة ما ابتعد عن الشق وعاد يجلس على السرير •

عاد اليه الندل القذر بالشاي ولحم العجل ، وسأله مرة أخرى اذا كان يرغب في شيء ، ولما أجابه سفيدريكايلوف نفيا ، ابتعد نهائيا • بادر سفيدريكايلوف يحتسي الشاي بلهفة المقرور ، لكنه لم يمد يده الى الطعام • لأن شهيته خانته فجأة وبدت عوارض الحمى تغزو جسده! نزع معطفه وسترته واستلقى على السرير ملتفا بالأغطية وهو شديد الكدر • غمغم يحدث نفسه بشيء من الهزء : « يجب أن أكون هذه المرة في صحة جيدة ! » كان جو الغرفه خانقا والشمعة المحترقة تضفي عليها ضوءاً غائما ، والريح تعصف بشدة في الخارج • وفي مكان ما من الغرفة فأرة تقضم شيئا ما • وكانت رائحة كريهة تنبعث من الغرفة ، رائحة جلود وفئران !

كان مسجى في سريره فريسة أحلام معينة ، وكل فكرة ترد رأسه تطرد سالفتها وتحل محلها • كان يريد بشق النفس أن يتخيل شيئا بعينه! همس في سره « لا شك أن هناك حديقة تحت النافذة • ان أغصان الاشجار تصطدم ببعضها بفعل الريح• انني أمقت ضجيج الاشجار ليلا، تحت العاصفة وفي طيات الظلام ! » ثم عاد يتذكر جسر « ايكس ••• » ونهر نيفا الصغير ، فشعر باحساس بارد كالذي شعر به لما كان واقفا منذ حين على الجسر • فكر : « انني لم أحب الماء قط حتى ولا في اللوحات والرسوم ! » وفجأة خامرته فكرة جديدة جعلته يزداد في

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

سخريته : « أعتقد أن قضية الجمال الطبيعي والرفاهية لا يجب أن تشغل في هذه اللحظة حيزا من تفكيري ، مع ذلك فها انني أتعنت كالحيوان الذي يعنى دائما في انتقاء مكان جثوه ... وفي مثل هذا الظرف ! لو أنني يممت منذ حين شطر جزيره بيتروفسكي لكنت الآن أحسن حالا. لقد خيل الي أن الليل شديد الظلمة شديد البرد . هـه ، هه ! كان يلزمني ـ لولا قليل ـ احساسات مستحبة لذيذة ... على فكرة ، لمَ لا أطفيء الشمعة ؟ ان جاري نائمان بعد أن انقطعت أصواتهما ! » أطفأ الشمعة دون أن يبارح السرير وألقى نظرة الى حيث كان ضوء الغرفة المجاورة يتسرب منه منذ حين فوجد أن الظلمة شاملة.

« هيا يا مارت بيتروفنا ، الآن وقت ظهورك . لقد أزف الوقت لتحضري وتلوميني! ان الظلام دامس والمكان مناسب والموقف لا يحتاج الى شيء من الابداع ! لكنك لن تحضري ولا شك ! ».

تذكر فجأة ، دون أي مبرر أو سبب ، أنه منذ حين ، قبل ساعة على بدء تنفيذ خططه المتعلقة بدونيا ، كان قد أوصى راسكولنيكوف بان يعهد بأخته الى رازوميخين ليسهر على سلامتها فغمغم : « الحقيقة أنني قلت ذلك من قبيل الصلف لا أكثر ، ولا شك أن راسكولنيكوف لم تفته غايتي ! يا له من مخاتل ذلك الراسكولنيكوف ! لقد لعب لعبة كبيرة ! لكن لكي يصبح المرء محتالا كبيرا ينبغي أن ينتظر زمنا طويلا، ينبغي أن تنسى حماقاته وتندثر . لكنه شديد التعلق بالحياة . انهم أنذال كلهم فيما يتعلق بهذه الناحية ! ليحملهم الشيطان ، انها مسألتهم وحدهم وهي لا تهمني في شيء ! »

لم يكن يستطيع الرقاد . عادت صورة دونيا تتمثل في خاطره . وفجأة اكتسحته رعدة عنيفة . همس وهو يفتح عينيه : « كلا ، ينبغي أن أتخلص الآن من كل هذا . ينبغي التفكير في شيء آخر . الغريب في

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أمري والمضحك في آن واحد أنني لم أمقت انسانا ما مقتا شديدا ، ولم أفكر مرة تفكيرا جديا في الانتقام من أحد ! انها بادرة سيئة ! كذلك فانني لم أرغب قط في التشاجر مع الناس ولم أغضب قط غضبا شديدا، ان هذا أيضا يعتبر بادرة سيئة ! لكن كم من وعود قطعتها على نفسي لها منذ حين ! يواه ! يا للشيطان ! لعلها بعد ذلك ــ كانت تستطيع أن تخلق مني رجلا آخر ! » صمت أخيرا وصرف على أسنانه وعادت صورة دونيا تعمر خياله من جديد تصورها كما كانت عليه عندما أطلقت رصاصتها الاولى فريسة رعب هائل يعصف في كيانها، رعب جعلها تلقي بالمسدس جانبا وتنظر اليه بعينيها الكبيرتين، حتى انه كان يستطيع أن ينالها مرتين لا مرة واحدة ، دون أن تبدي أية مقاومة . لكنه لم يشأ ذلك . بل انه هو الذي أعادها الى الصواب . تذكر أنه شعر باشفاق حقيقي عليها، وأن قلبه انقبض وكأن يدا جبارة كانت تعتصره ... « الى الشيطان ! ينبغي الخلاص من هذه الافكار ، ينبغي التخلص منها ! » .

لم يكد يشعر بقشعريرة الحمى تفارقه ، وبأعضائه تميل الى التمدد والراحة ، حتى أحس فجأة بشيء يجري على ساقه وذراعه . فانتفض وهتف : « يواه أظن أنها فأرة ! لقد تركت لحم العجل على المائدة لم أمسه ! » كان يخشى اذا رفع الغطاء عن جسده ونهض من فراشه أن يتأثر بالبرد . لكنه شعر فجأة بدغدغة مزعجة في قدمه ، فألقى الأغطية جانبا ، ونهض يشعل الشمعة . كان يرتجف من الحمى وهو منحن على السرير يتفحصه . لم يجد فيه شيئا . هز الغطاء فاذا بفأر يقفز منه الى السرير . اندفع نحوه يحاول الامساك به ــ فلم يحاول الفأر الفرار ، بل راح يرسم على السرير خطوطا متكسرة ويتسلل من بين يديه بمهارة أحنقته . وأخيرا جرى فوق يده وراح يختبىء تحت الوسادة . ألقى سفيدريكايلوف بالوسادة على الارض لكنه شعر في تلك اللحظة بشيء ما يجري فوق بطنه ، يقفز ويتحرك هنا وهناك فوق ظهره وصدره تحت القميص . أحس بقشعريرة عصبية استفاق على أثرها . كانت

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الغرفة في ظلام حالك كما تركها منذ حين، وكان هو ـ في سريره متدثرا بالاغطية والريح تعصف مزمجرة تحت النافذة • وهتف غاضبا « يا للحلم القذر ! » •

استوى جالسا على حافة السرير مدبرا ظهره الى النافذة وصمم : « لعل الأفضل ألا أنام مطلقا » • كانت ريح رطبة باردة تتسلل خلال مصراع النافذة ، فجذب الأغطية على نفسه يتدثر بها دون أن يبارح مجلسه • تعمد أن لا يوقد الشمعة لأنه كان لا يفكر في شيء لأنه لم يكن يريد التفكير في أي شيء • لكن الاحلام كانت تتعاقب في عقله ، وتتف الافكار ترى دون بداية ولا نهاية ولا ارتباط بينها • كان كمن سقط فريسة ذهول أو اغماء لا يحس ولا يقدر • هل كان ذلك بسبب البرد ، أم الظلمات ، أم الرطوبة ؟ أكان ذلك بسبب الريح المزمجرة تحت النافذة التي كانت تهز الاشجار هزا عنيفا ؟ كانت تخيلاته تجنح به الى أشياء وهمية طريفة فتخلق في نفسه رغبة معينة • كان يوم عيد العنصرة ! وكان هناك كوخ منيف رشيق مبني على الطريقة الانجليزية قائم وسط حديقة يانعة تحيط به مماشي مفروشة بالازهار والرياحين وقد التفت النباتات المتسلقة حول عرائش الورود • وكان عدد من الأصص المصنوعة من الصيني تحوى زهورا نادرة تزين حاجز سلم كبير مضيء رطب فرشت على درجاته سجادة بديعة • هناك على حافة النوافذ كانت بعض أواني الزهر ممتلئة حتى نصفها بالماء وقد رتبت فيها باقات من النرجس الابيض الذى كان ينحني على سوقه الطويله الخضراء فتفوح الجو بأريج عطر عبق • ود لو بقي قريبا من تلك الزهور ولكنه ارتقى سلما قاده الى غرفه فسيحة كبيرة مرتفعة الجدران • كانت الغرفة الفسحة غاصه كذلك بالزهور التي كانت منثورة على النوافذ والشرفة وفي كل مكان • وكانت الارض الخشبية مغطاة بالاعشاب العطره وقد قطعت حديثا • أما درفات النوافذ فكانت مفتوحة

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تسمح للريح الهادئة المنعشة بالوصول الى الغرفة ، وكانت العصافير تزقزق مغردة على الأفنان تحت النوافذ • وفي منتصف الغرفة ، على مائدة مغطاة بأكفاف من الساتان الأبيض ، كان تابوت صغير ! كان التابوت مبطنا بالحرير الثمين المزين « بالدانتيلا » تحيط به أكاليل الزهور من كل جانب ، فلما نظر بداخله ، شاهد فتاة صغيرة غارقة بين الزهور ، مسجاة على خشبة من الريش مرتدية ثوبا أبيض من «التول»، ومعقودة اليدين على صدرها وكأنها منحوتة من الرخام • كان شعرها الاشعث الاشقر الفاتح مبتلا وهالات من الزهور تحيط به وتتوجه • وكان مشهد وجهها الجانبي الجامد يبدو كأنه قد كذلك من الرخام ، لكن ابتسامة شفتيها الشاحبتين كانت مطبوعه بطابع حزن عميق لا يمت الى الطفولة البريئة بصلة • كانت ابتسامة متألمة يائسة ! شعر سفيدريكايلوف بأنه يعرف تلك الطفلة ! ولم يكن قرب التابوت أية صورة لقديسين أو شمعة مضاءة ، ولم يكن المرء يسمع أية صلوات وابتهالات : لقد كانت الفتاة منتحرة ، كانت غريقة ! لم يكن لها من العمر أكثر من أربعة عشر عاما ، مع ذلك فان قلبها قد تحطم في تلك السن فبحثت عن الموت، لأنها استهدفت لاعتداء روع الى الابد ضميرها الفتي الطفل ! اعتداء ملأ تلك الروح الملائكية بالعار الذي لا تستحقه، وانتزع منها صرخة يأس قاتلة ، صرخة خنقها الليل المدلهم ، وطوتها الظلمات ولفّها البرد في زمهريره فضاعت بين زمجرة الريح العاتية !

استفاق سفيدريكايلوف ، فبارح السرير واقترب من النافذة متحسسا ، حتى اصطدمت يده بمقبض الدرفة ففتحها • وعندئذ اندفعت نفحة من الريح الى الغرفه الضيقة وصفعت وجهه وصدره بموجة البرد فاستعاد هدوءه • وجد أن النافذة كانت تطل على حديقة سمر حيث الناس يغنون في النهار أغاني شائعة لطبقة ويحتسون الشاي جالسين الى موائد صغيرة • وفي تلك الاثناء اندفعت من الاشجار القريبةقطرات

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

من الماء ، كانت عالقة بالاغصان ، فحركتها الريح ، وقذفت بها خلال النافذة الى وجهه • كان الليل معتما أشبه بظلمة النفق ، حتى ليتعذر على المرء تمييز الاشباح السوداء التي تنبىء بوجود أجسام قريبة، فلبث سفيدريكايلوف خمس دقائق منحنيا على النافذة نصفه خارج الغرفة ، معتمدا على ساعديه ، ينظر الى الظلمة بفضول • وفجأة ، دوى قصف مدفع أعقبه ثان ! غمغم يحدث نفسه :

ـ آه ! انها الاشارة ! ان المياه تصعد • لسوف تكتسح الشوارع هذا الصباح فتغمر الأقبية والمتاجر المنخفضة والمشارب القائمة على الضفتين ! لسوف تسبح الجرذان ويهرع الناس ، تحت المطر وعصف الرياح ، فينقلون أمتعتهم من الطبقات السفلية الى الاعلى وهم يشتمون ويصخبون • ولكن ، كم الساعة الآن ؟

وبينا هو يفكر في ذلك ، سمع صوت ساعة تقرع في مكان ما قرعا هادئا متزنا عميقا معلنة الثالثة صباحا !

ـ اه، هه ! سوف ينبثق الضياء خلال ساعة ! لِمَ الخنوع؟ سأذهب على الفور الى جزيرة بيتروفسكي مباشرة، وسأنتقي دغلا سخت الامطار في ريه ، حيث لا يكاد المرء يلمس الاغصان ، حتى تتساقط ملايين من نقاط المطر فتغمر رأسه !

انسحب من مكانه بجانب النافذة فأغلقها، ثم اضاء الشمعة ولبس صدارته ومعطفه وأخذ قبعته وحمل المسرجة بيده ، وغادر الغرفة الى الممشى باحثا عن الندل الذي وجب أن يكون نائما في احدى غرف الأمتعة • كان يريد تسوية حسابه ومبارحة الفندق لأنه قدر « أن الوقت المناسب قد أزف وأنه لا يمكن أن يجد مناسبة أفضل ! »

تاه طويلا في الممشى الضيق الطويل دون أن يعثر على أحد، وهم بأن ينادي بصوت مرتفع ، لولا أن اكتشف فجأة في زاوية معتمة ، بين

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

خزانة قديمة وأحد الابواب، شبئا حيا يتحرك. انحنى فوق ذلك الشيء، وأدنى النور منه ، فاذا هو طفلة ، طفلة في الخامسة من عمرها لا أكثر ، مرتديه ثوبا صغيرا مهلهلا ، أشبه بالخرق التي تجفف بهـا الصحاف ، كانت ترتعد من البرد وتبكي. لم يبدِ عليها الخوف لرؤية سفيدريكايلوف، بل حدجته بعينيها السوداوين الكبيرتيـن ، وعلت وجهها مسحة من الذهول الأبله . كانت من حين الى آخر تزفر منتحبة شأن الطفل الذي بكى زمنا طويلا ، ثم كف منذ حين وتماسك لأتفه سبب . كان وجهها الصغير شاحبا متسخا وجسمها متقلصا من البرد . فما الذي أتى بهـا الى هناك ؟ لا شك أنها اختبأت في تلك الزاوية ولم تنم طوال الليـل! أخذ يستجوبها ، فانتعشت الطفلة فجأة . وراحت تقض عليه قصتها بلغة الاطفال البريئة : كانت القضية متعلقة بأم « صغياة » صغيرة ، وأن تلك الام « الصغيلة » الصغيرة سوف « تضلبها » تضربها لأنها « كسلت » كسرت قدحا ! كانت الطفلة تتحدث دون توقف ولم يكن حديثها خاليا من المغزى : انها طفلة غير محبوبة ، ولعل أمها طاهيـة مدمنـة لا تنفك تشرب ــ والارجح أنها تشتغل في هذا الفندق ــ كانت لا تني تضربها وتروعها . والظاهر أن الطفلة كانت قد كسرت قدحا ، فخـافت عقاب أمها ، ونفرت منذ مساء أمس ، حيث ظلت مختفية طوال الوقت تحـت المطر في العراء ، ثم تسللت خلسة ، وقبعت وراء الخزانة ، حيث أمضت الليل كله في تلك الزاوية ، باكية مرتجفة، مقرورة من البرد ، هـالعة من الظلمة ، خائفة من الضرب القاسي الـذي ستستهدف لـه بسبب فعلتها . حملها سفيدريكايلوف بين ذراعيه وعاد بها الى غرفته فوضعها على سريره وراح ينزع عنها ثيابها المبللة . كانت أحذيتها الضخمة البالية تبدو كأنها نقعت في مستنقع لبثت فيه طيلة الليل ، ولم تكن الصغيـرة تلبس جوارب في قدميها . فلما خلع ثيابها ، أسجـاها عـلى السرير، وأحاطها بالغطاء حتى عنقها . فنامت على الفور . وعندئذ ، عاد الى

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أحلامه القاتمة .

فكر فجأة ، وهو يشعر بعاصفة من الانفعال الأليم تنفجر في نفسه :

ـ «لقد عدت فتورطت من جديد في قضية جديدة . يا للحماقة!»

عاد فحمل المسرجة في يده حانقا وقرر البحث عن الندل والذهاب فورا ، وفتح الباب وهو يسب ويناجي نفسه مزمجرا : « اه طفلة ! » . لكنه عاد الى السرير ليلقي على الصغيرة نظرة أخيرة ، ليتأكد من أنها نائمة ، ويرى كيف أضحت في نومها . رفع الغطاء بحذر ... كانت الطفلة مستغرقة في نوم سعيد عميق . لقد أحست بالدفء تحت الغطاء فعاد اللون الاحمر الى وجهها الشاحب . لكن الغريب في الامر ، أن ذلك اللون الذي اصطبغ به وجهها كان صارخا جدا ، لا يمكن أن ينطبع مثله على وجه طفلة صغيرة . فكر سفيدريكايلوف : « انها حمرة الحمى » ! يخيل للناظر اليها أنها سكرى أو أنها أسعيت قدحا كبيرا من الخمر . كانت شفتاها القرمزيتان تحترقان . كانتا ملتهبتين. آه ! خيل اليه فجأة أن أهدابها السوداء الطويلة ترف وتتحرك ، وكأنها تغمز له، وانها تصوب نحوه من بين جفنيها المطبقين نظرة خبيثة ماكرة . رأى أطراف أهدابها ترتعد ، وكأنها تحاول ارغام نفسها على السكون. لكنها لم تستطع مقاومه رغبتها طويلا . ها هي ذي تضحك ، ضحكة مسموعة فيها وقاحه وجرأة ، وأشرق وجهها بالاغراء ، اغراء لا يمكن أن يكون للطفولة ! انه دليل واضح على فساد الاخلاق . انه وجه جميل ، وجه غادة كاميليا . بل انه وجه وفح ، وجه غانية فرنسيه . ها ان عينيها تفتحان بعد أن عدمت ما تخفيه ، انهما تنظران اليه دون حياء نظرة ملتهبة تتلظى بالشهوة. انهما تناديانه، انهما تضحكان. كان في ضحكتها لون من الحقارة المخيفة والسخرية العميقة ، وكذلك في عينيها وفي وجهها، ذلك الوجه الصغير الذي بات يعبر عن سفاهة وفسق. غمغم سفيدريكايلوف

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مروعا : « ملاذا ! في سن الخامسة ! ما هذا ؟ ما معنى هذا ؟ » أدارت نحوه وجها ملتهبا محموما بالنشوة ومدت اليه ذراعيها منادية ، فصرخ بهول وفزع : « آه ! يا للعبنة ! » ورفع يده يريد صفعها ... وفي تلك اللحظة استفاق .

كان هو النائم في تلك اللحظة ، متدثرا بالاغطية . وكانت الشمعة مطفأة والصبح يكاد أن ينبثق .

غمغم مغيظا وهو ينهض على سريره : « كنت هذه الليلة فريسة الاحلام المزعجه » . وشعر أن عظامه تؤلمه . كان الضباب الكثيف يخيم على المدينة حتى ليتعذر على المرء رؤية السماء، والساعة تناهز الخامسة. لقد نام زمنا كافيا !

نهض سفيدريكايلوف وارتدى سترته ومعطفه اللذين لم يجفا بعد ، وتحسس المسدس في الجيب الذي أودعه فيه فأخرجه . أصلح من وضع « الكبسولة » ثم جلس وأخرج من جيبه دفترا صغيرا كتب على الصفحة الاولى منه بضعة أسطر بأحرف كبيرة ، أعاد قراءتها ثم استغرق في أحلامه متكئا بمرفقيه على المائدة ، والمسدس والدفتر الى جانب بعضهما قرب مرفقه ! كان الذباب قد استيقظ ، وتهالك على قطعة اللحم التي لم يمسها ، فنظر اليها ساهما وحاول بيمناه أن يمسك بواحدة . غير أنه أخفق فيما أراد رغم جهوده . وأخيرا انتبه الى ما يعمل ، وعجب لما يشغل به نفسه ، فانتفض ونهض واقفا ، وغادر الغرفه بخطوات ثابتة ، ولم يلبث أن بلغ الشارع .

كان الضباب الكثيف الابيض يغمر المدينة ، وسفيدريكايلوف سائرا على الرصيف الخشبي القذر الاملس ، متجها نحو نهر نيفا الصغير . كان يتخيل مياه النهر بعد صعودها المنتظر ، وجزيرة بيتروفسكي ، والمماشي التي تظللها أشجار الجوز ، والحشائش المرويه،

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

والاشجار والادغال المغمورة بالماء ، وآخيرا الدغل الذي كان يبحث عنه ... امتلكه الغيظ، فراح ينظر الى البيوت التي حوله ليوجه اهتمامه وجهة أخرى . كان الشارع مقفرا، لا انسان ولا عربة ! وكانت البيوت الخشبية الصغيرة ، ذات اللون الاصفر الفاقع، بأبوابها ونوافذها المغلقة، تبدو قذرة موحشة . عادت الرطوبة تسري في أوصاله وراح يرتعد من البرد فراح يلهى بقراءة كل لافتة دكان يمر بقربها بعناية ودقة حتى بلغ نهاية الرصيف الخشبي ، واقترب من بناء كبير من الحجر . مر بجانبه كلب مقرور ، دفع ذيله بين ساقيه من البرد والجوع ، ورأى رجلا ثملا متدثرا بمعطف ، مستلقيا على الرصيف ووجهه الى الارض ، فألقى عليه نظرة وتابع طريقه . والى يساره سمق برج مستدير عال فهتف : « آه! هذا هو المكان المناسب . لمَ أذهب الى جزيرة بيتروفسكي ؟ سأجد هنا على الاقل شاهدا رسميا ». وكاد أن يضحك لهذه الفكرة الطارئة! فانعطف في شارع « ايكس ... » ، وتوقف قرب البناء الذي يعلوه برج الحراسة . كان على المدخل رجل قصير القامة ، متدثر بمعطف رصاصي اللون من معاطف الجنود ، مستندا الى الجدار وعلى رأسه خوذة « آشيل (١) » النحاسية وفي عينيه نظرة متبلدة باردة لا تستطيع مقاومة سلطان الكرى . ألقى الحارس الوسنان نظرة جامدة على سفيدريكايلوف . كان وجهه مطبوعا بتلك المسحة السويداوية الكالحة، قديمة العهد ، التي تضفي كثيرا من المرارة على كل الوجوه المنحدرة

---

(١) آشيل : ابن ثيتيس وبيلي ملك الميرميدونيين وهو اشهر ابطال الياذة اليونان . قتل آشيل هكتور في حصار طروادة لكنه اصيب بسهم مسموم في كعب قدمه اطلقه باريس . وبقى اسم آشيل رمزا للشجاعة على الزمن وفي كل اللغات . وقد اراد المؤلف باطلاق هذه التسمية تعريف نوع الخوذة التي كان الجندي يضعها على رأسه لانها مشابهة للخوذة التى كان آشيل يضعها على راسه . — المترجم —

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

من أصل يهودي دون استثناء . راح كلاهما ، سفيدريكايلوف وآشيل، ينظران الى بعضهما ويفحص كل منهما وجه الآخر . وأخيرا بدا لآشيل أنه من غير الطبيعي أن يقف أمامه في تلك اللحظة مخلوق غير ثمل وأن ينظر اليه نظرة ثاقبة ويقف على بعد ثلاث خطوات منه دون أن يتفوه بكلمة .

تمتم دون أن يعتدل في وقفته :

ـ هه ! ماذا تبحث هنا ؟

أجابه سفيدريكايلوف :

ـ لا شيء ! مرحبا ، أيها الأخ !

ـ ليس هناك المكان الذي تريده .

ـ ألا ترى أيها الاخ ، انني ذاهب الى الخارج .

ـ الى الخارج ؟

ـ الى أمريكا !

ـ الى أمريكا ؟

أخذ سفيدريكايلوف مسدسه فصلاه بينما رفع آشيل حاجبيه :

ـ ما هذه الدعابات ؟ ليس هنا المكان الذي تريد !

ولِمَ لا يكون المكان المنشود ؟

ـ لأنه ليس المكان ...

ـ هيا ، يا صديقي ، لا بأس . ان المكان مناسب ... فاذا سألوك أجب انني ذهبت الى أمريكا !

وسدد المسدس الى صدغه الأيمن . قال آشيل متفعلا جاحظ العينين :

ـ لكن هذا غير مسموح ... ليس هنا المكان الذي تريد ...

وضغط سفيدريكايلوف على الزناد ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٧

في مساء ذلك اليوم بالذات ، حوالي الساعة السادسة او السابعة مضى راسكولنيكوف الى مسكن امه واخته ، ذلك المسكن الذي نقلهما رازوميخين اليه والذي تمتلكه كذلك اسرة باكالييك . كان مدخل السلم يفضي الى الشارع مباشرة . تقدم راسكولنيكوف مترددا متسائلا : « أأدخل أم لا أدخل ؟ » لكنه كان عازما على الدخول رغم كل شيء ، فقد اتخذ قراره في هذا الصدد ولن يحيد عنه . قال يهدىء ثائرة نفسه : « على كل حال ، انهما لا تعرفان عن الامر شيئا ، وقد اعتادتا اعتباري مخلوقا شاذا » .

كان مرتديا ملابسه وقد اتسخت بشكل كريه لانه امضى الليل تحت المطر ، فعلقت الوحول بثيابه وتهدلت بشكل بشع وكأنه يستعملها للنوم ! وكان وجهه غير واضح المعالم بسبب التعب ورداءة الطقس والمجهود الجسدي الذي بذله طيلة الاربع والعشرين ساعة الماضية ، والنضال الذهني الذي اشتبك فيه منذ زمن طويل . لقد امضى الليلة الفائتة وحيدا في مكان لا يعلمه الا الله . لكنه افاد من تلك الخلوة اذ خرج منها بقرار جاء ينفذه !

قرع الباب ففتحت له امه ، لان دونيا كانت بالخارج، والخادم ما كانت في تلك الساعة في البيت . عقلت الدهشة والفرح لسان بولشيري الكسندروفنا فتره ، فامسكت بيده ، وقادته الى الغرفة ، ثم شرعت تقول بصوت تهدج من الفرح :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ آه ! ها أنتذا اخيرا . لا تغضب يا ردويا اذا كنـت استقبلك باكيـة بكل حماقـة ! انني لا ابكي يا بني ، هيـا ، انني اضحك . او تظن انني ابكي ؟ كلا . انني شديدة السعادة . لكنني لا استطيع التخلص من عادتي الرعناء . ان دموعي تنهمر مـن تلقاء نفسها ! انني فريسـة هذه العادة منذ وفاة ابيك ، يا بني . ان اي شيء يبكيني . اجلس يا عزيزي ، انـك تعب . انني ارى التعب باديا عليـك . آه ! كم اتسخت !

قال راسكولنيكوف :

ـ لقد خرجت تحت المطر ، يا اماه !

قالت بولشيري الكسندروفنا بحماس مقاطعـة :

ـ دعك من هذا ! اظننت انني سأعود الـى استجوابـك حسب عادتي العتيقـة الكريهة ؟ اطمئن ، انني افهم كل شيء . لقـد فهمت الان اسلوب الحياه هنا ، انني ارى انهم هنا اشد ذكاء مـن عندنا . لقد افهمت نفسي مرة الـى الابد [illegible]ـي ان احاول معرفة افكارك او ان أسألك حسابا عن تصرفاتـك . ان اللـه يعلم ما هي الخطط والافكار التي يعمر بها راسك . بل لعـل تلك الافكار تزعجـك ، مع ذلك أتقدم أنا ، وامسك بذراعك لاسألك: هيا ، قـل لي ، بأي شيء تفكر ؟ أرأيت ... آه ، يا رب ! لم اثرثر هكـذا دون هدف ولا تقـع ؟.. أرأيت يا رودي ، انني كنت اقرأ مقالك للمرة الثالثة ، ذلك المقال الذي نشرته في هـذه المجلـة . لقد اتى بها دميتري بروكوفيتش . لقد اطلقت آهة لما رأيت المقـال وقلت لنفسي : « كم كنت حمقاء ! هذا اذن ما يشغله . ان هـذا يفسر الامور . ان كل العلماء على هـذا المنوال . لعلـه الان يغذي فكرة او افكارا جديدة في رأسه ، انه يصممها ويهذبها ، ولا شـك ان

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هذه الامور لا استطيع فهمها، ولكن ذلك عين الصواب لانني لا استطيع ان اكون على مستوى واحد معه !

ـ اريني هذا المقال ، يا اماه .

اخذ راسكولنيكوف المجلة والقى نظرة عابرة على مقاله . وعلى الرغم من التناقض العجيب القائم بين تلك الصفحات وبين موقفه وحالته العقلية الحالية ، فانه احس شعورا لطيفا بمرارة ، شعورا غريبا يخالج قلوب الكتاب الذين تنشر مقالاتهم للمرة الاولى ، زد على ذلك أن ذلك الكاتب كان في الثالثة والعشرين من عمره . لكن ذلك الاحساس لم يدم الا لحظة عابرة. اذ انه ما كاد يقرأ بضعة اسطر حتى اكتأب وجهه ، واحس بحزن عميق يمزق قلبه . عادت الى ذاكرته كل تلك المقاومات العقلية التي اعدها خلال تلك الشهور الاخيرة ، فالقى المجلة على المنضدة بحركة اشمئزاز وغضب .

ـ لكنني ، ياروديا ، استطيع ان احكم ـ مهما بلغت حماقتي ـ بانك ستصبح واحدا من ألمع الشخصيات في عالمنا المثقف ان لم تصبح الاول بينها على الاطلاق . آه ، كلما افكر في انهم تجرأوا على اعتبارك مجنونا ، ها ! ها ! ها ! انك لا تعرف شيئا عن هذا ، لكنهم فكروا فيه بالفعل ! آه ، يا السذج المساكين ! كيف يستطيعون فهم معنى الذكاء ! ثم ان دونيا نفسها ، كادت ان تصدق ذلك اخيرا ، هل تصدق ! لقد ارسل أبوك المسكين مرتين اوراقا الى المجلات . ارسل ابياتا شعرية اول مرة ـ انني احتفظ بالدفتر الذي كتبها فيه وسأطلعك عليه ذات مرة ـ ثم مقالا وقد رجوته ان يدعني انسخها. لشدة ما رجوناهم ان يقبلوا نشرها فقبلوها اخيرا ؟ اعلم ياروديا انني منذ ستة او سبعة ايام

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كنت كلما نظرت الى ثيابك وفكرت في اسلوب حياتك وما تأكل واين تقطن ، أشعر ان رأسي سينفجر . لكنني اقتنعت الان بانني كنت حمقاء ، لانني تاكدت من انك لو شئت لامكنك بلوغ اى شيء بفضل ذكائك ومواهبك . لكنك الان لا تريد شيئا لانك منهمك ولا شك في اشياء اكثر اهمية .

ـ هل دونيا غير موجودة في المسكن ، يا اماه ؟

ـ كلا ، ياروديا . انها تخرج غالبا وتتركني وحيدة . ان دميتري بروكوفيتش يتلطف دائما بزيارتي والبقاء معي . انه يتحدث دائما عنك . انه يحبك ويقدرك يا عزيزي . انني لا ازعم ان اختك تبخسني حقي من الالتفات والاعتبار . كلا ، وانا لا الومها لان لها عقليتها هي الاخرى ولي عقليتي . انها تخفي عني اسرارا لا اعرفها ، اما انا ، فلا اسرار عندي بالنسبة اليك . لقد تأكدت من ان دونيا شديدة الذكاء وانها تضمر لي ولك كثيرا من الحب والميل ، لكنني لست ادري نتيجة تصرفاتها . ثق يا رودبا بانك جعلتني سعيدة كل السعادة بزياراتك هذه . لقد وصلت في اللحظة التي خرجت هي فيها . وعندما تعود ، لسوف اقول لها : « لقد جاء اخوك في غيابك فاين كنت في تلك الاثناء ؟ » لكن انت يا ولدي ، لا تدللني كثيرا . لكن عد كلما وجدت من وقتك متسعا . سوف انتظرك . انني ساعرف بذلك انك تحبني دائما وهذا يكفيني . ساقرأ مقالاتك ومؤلفاتك ، وساسمع الناس يتحدثون عنك ، ولسوف تأتي لزيارتي من حين الى اخر ، فماذا ابتغي اكثر من ذلك ؟ لقد وصلت اليوم في حينك يا ولدي لتعزي املك !

وفجأة انخرطت بولشري الكسندروفنا في البكاء . هتفت ، وهي تنهض واقفة .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ها انا ذي أعود الى البكاء • لا تلقَ بالا• انني حمقاء ! آه ، يا رب ! كيف البث جالسة ؟ لدينا قهوة جاهزة ولا اقدم لك قدحا ! أرأيت مبلغ الانانية عند العجائز ! على الفور ، على الفور ••

ـ دعك من هذا يا امي الصغيرة ، انني ذاهب من فوري ؟ لم احضر البك من اجل هذا • اصغي لي ارجوك •

اقتربت بولشيري الكسندروفنا بشيء من الذعر •

سأل راسكولنيكوف فجأة من اعماق قلبه دون ان يندبر كلماته او ان يزنها :

ـ يا امي الصغيرة ، هل ستحبينني تماما كما تحبيني الان مهما حدث ، ومهما سمعت عني ؟

ـ روديا ، روديا ! ماذا بك ؟ كيف تطرح هذا السؤال ؟ من ذا الذي سيتحدث الي عنك بسوء ؟ لن اصدق كائنا من كان ، سوف اطرد المتكلم من حضرتي ••

اردف قائلا دون ! ذتتبدل لهجته :

ـ لقد جئت لاؤكد لك يا اماه بانني احبتك دائما ، وانني سعيد الان اذ اكون وحيدا معك ، مرتاح حتى لغياب دونيا عن هذا اللقاء ؟ لقد جئت لاقول لك انه يجب عليك في محنتك وتعاستك ان تعلمي بان ابنك يحبك اكثر مما يحب نفسه ، وان كل ما يمكن أن تكوني اعتقدته ، قسوتي وقلة تعلقي بك وحبي ، خطأ في خطأ • انني لن افتأ احبك الى الابد •• هيا ، هذا يكفي ، لقد قدرت انه يجب ان اتصرف على هذا النحو وان ابدأ على هذا الشكل •

ضمته بولشيري الكسندروفنا الى صدرها بصمت وراحت تعانقه باكية بصوت خافت • واخيرا قالت :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لست أدري ما بك ، يا روديا . لقد ظننت حتى هذه اللحظة أننا كنا نزعجك ونسبب لك المتاعب . لكنني أرى الآن أن آلاما كبيرة تهيأ لك . وأن تلك الآلام هي أسباب حزنك . كنت أتنبأ بهذا منذ أمد طويل ، يا روديا . اصفح عني اذا حدثتك على هذا النحو ، انني أفكر، ولكنني لا أنام . لقد كانت أختك تهذي الليلة الفائتة فكانت لا تنفك تتحدث عنك . لقد سمعت بضع كلمات لكنني لم أفهم منها شيئا . لقد كنت أشعر به شعورا مسبقا ، وها هو ذا قد وقع ! روديا ، روديا ، الى أين تذهب ؟! انك تريد الذهاب، أليس كذلك ؟ انك ذاهب !

ـ سأذهب ؟

ـ خيل الي ذلك ! لكني أستطيع الذهاب معك اذا كان ينبغي أن تذهب . ودونيا ، انها تحبك وتحبك كثيرا ، وكذلك صوفي سيميونوفنا . لتأت هي الاخرى معنا اذا وجب الأمر . ثق أنني على استعداد لنقلهما كابنتي . لسوف يساعدنا دميتري بروكوفيتش في اتخاذ أهبتنا . ولكن ... الى أين تذهب ؟

ـ الوداع ، يا أمي الصغيرة !

هتفت وكأنها ستفقده الى الأبد :

ـ ماذا ؟ اليوم بالذات ؟

ـ لا أستطيع البقاء أكثر من ذلك ، ينبغي أن أذهب حتما ...

ـ وأنا ، ألا أستطيع الذهاب معك ؟

ـ كلا ، ولكن ابتهلي الى الله جاثية من أجلي ، علّ صلاتك تصعد اليه .

ـ سأرسم عليك اشارة الصليب ، سأباركك ، هكذا ! آه يا رب ما العمل ؟

نعم ، كان مسرورا جدا ، مسرورا حقا لأن المنزل خال الا من أمه،

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لأنه استطاع أن يختلي بها . لقد تحنن قلبه بعد كل تلك الالام الهائلة التي احتملها ، فسقط على أقدام أمه يقبلها ، وبكى كلاهما وتعانقا ... لم تدهش الأم لتصرف ابنها ولم تلق عليه أي سؤال . كانت منذ أمد طويل فاهمة أن شيئا مخيفا يهيمن على نفسية ولدها ، وأن ساعة مرعبة من ساعات القدر قد أزفت لتحدد مصيره .

قالت والدموع في عينيها :

ـ روديا ، يا ولدي العزيز . يا ولدي البكر ! ها أنتذا كما عهدتك في طفولتك ، كنت تقرب مني وتضمني وتعانقني هكذا !. كذلك في حياة أبيك ، فكنت عزاءنا ، يسعدنا وجودك . ومنذ أن مضى أبوك، كم من مرة لبثنا أنت وأنا هكذا ، متعانقين ! لقد بكينا معا على قبره ! انني اذا كنت أبكي منذ أمد ، فذلك لأن قلبي كأم كان يحس بقرب وقوع مصيبة ! لقد خمنت كل شيء منذ أول لقاء لي معك . ألا تذكر ، منذ يوم وصولنا ، وانقض قلبي مذعورا . واليوم، عندما فتحت لك الباب. فكرت وأنا أنظر اليك بأن الساعة الحاسمة قد أزفت . روديا ، روديا، هل تذهب على الفور ؟

ـ كلا !

ـ وستحضر مرة أخرى ؟

ـ نعم ... سأحضر .

ـ روديا ، لا تسخط يا بني ، انني لا أجرؤ على سؤالك . وأعرف أنني لن أجرؤ أبدا على طرح الاسئلة . لكن قل لي كلمتين : هل تذهب الى مكان بعيد ؟

ـ بعيد جدا .

ـ سيكون هناك ، مركز !

ـ ما يهيئه لي الله ... صلي فقط من أجلي .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مضى راسكولنيكوف نحو البا بفتعلقت به أمه وحدقت في عينيه بنظرة يأس • كان وجهها متعلقا بتأثير الألم •

قال راسكولنيكوف ، وقد شعر بندم عميق على مجيئه :

ـ كفى ، يا أماه •

ـ لن تتركني الى الأبد ؟ قل لي انك لن تذهب الى الأبد ؟ سوف تأتي ، سوف تأتي غدا ؟

ـ سوف أحضر ، سوف أحضر • الوداع •

تمكن أخيرا من التخلص من يديها ومضى •

كانت الامسية لطيفة منعشة منيرة لأن الغيوم كانت قد تبددت منذ الصباح ، فبلغ راسكولنيكوف مسكنه • كان على عجلة من أمره يريد الانتهاء من آلامه قبل مغيب الشمس • كان حتى تلك اللحظة لا يتحسن مقابلة أحد ، فلما صعد الى غرفته لاحظ أن ناستاسيا تركت « سماورها » عندما رأته ، وتابعته بنظرات ثابتة مستطلعة • فخاطب نفسه قائلا : « هل يوجد أحد في مسكني ؟ » راح يفكر في بورفير باشمئزاز وتقزز • لكنه عندما بلغ غرفته وفتح الباب شاهد دونيا • كانت جالسة على الأريكة مستغرقة في تفكير عميق ، ولا شك أنها انتظرته زمنا طويلا • توقف على العتبة ، فنهضت مذعورة منتصبة القامة ، ووقفت أمامه • كانت نظرة الفتاة الثاقبة تعبر عن فزع ممزوج بضيق شديد • فهم من تلك النظرة وحدها أنها تعرف كل شيء •

جلس مجفلا :

ـ هل يجب أن أقترب منك أم أن أذهب ؟

ـ لقد قضيت سحابة النهار لدى صوفي سيميونوفنا ننتظرك كلتانا • كنا نفكر في أنك لا شك ستعود •

دخل راسكولنيكوف الغرفة وتهالك على المقعد :

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ انني أشعر بضعف يا دونيا ، انني شديد التعب . انني في هذه اللحظة على الأقل أكون مالكا أعصابي.

ألقى عليها نظرة مستريبه ، فقالت :

ـ أين كنت الليلة الماضية ؟

ـ لا أذكر تماما ، يا أختاه . كنت أريد اتخاذ قرار حاسم . وقد ذهبت عدة مرات قريبا من «النيفا» . انني أذكر ذلك .

كان يتكلم هامسا وهو لا يكف عن القاء نظرته المستريبه على دونيا . قالت هذه :

ـ حمدا لله ! كنا صوفي سيميونوفنا وأنا شديدتي الخوف من هذه النتيجة ! على ذلك فانك لا زلت تؤمن بالحياة . حمدا لله ! حمدا لله !

سخر راسكولنيكوف بمرارة :

ـ ما كنت أؤمن بالحياة ، ولكن منذ لحظات تعانقنا أنا وأمي وبكينا . انني لا أؤمن بشيء ومع ذلك طلبت اليها أن تصلي من أجلي ! الله وحده يعلم كيف يدور هذا الامر في نفسي لأنني شخصيا لا أفهم منه شيئا ، يا دونيا .

هتفت دونيا مروعة :

ـ كنت عند أمنا ؟ هل تحدثت اليها ؟ هل جرؤت على التحدث اليها بكل شيء ؟

ـ كلا لم اقل لها شيئا عن « ذلك » ، لكنها فهمت اشياء كثيرة . لقد سمعتك تهذين ليلا بصوت مرتفع ، وأنا واثق من أنها تعرف نصف الحقيقة حتى الان . لعلني أخطأت بالذهاب اليها . بل انني أعرف لم ذهبت . انني رجل منحط ، يا دونيا .

ـ رجل منحط وعلى استعداد لاحتمال العذاب لأنك ستحتمله، أليس كذلك ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قــال :

ــ نعم سأحتمله • لقد كنت أريد الانتحار غرقا للتخلص من هذا العار ، يا دونيا • لكنني كنت منحنيا فوق الماء ، وفكرت في أنني اذا كنت قدرت نفسي حتى تلك اللحظة رجلا قويا ، فلا ينبغي أن أخاف من العار • ان تفكيري هذا معناه الكبرياء • أليس كذلك ، يا دونيا ؟

ــ نعم ، يا روديا •

ومضت عيناه الخامدتان برهة • لقد أعجبه أن يكــون محتفظا بكبريائه •

سألها ، وهو يحدق في عينيها وقد ارتسمت على شفتيه ابتســامة مربكة :

ــ ألا تفكرين ، يا أختاه ، أنني تراجعت مذعورا لمجرد رؤيــة المــاء ؟

صاحت دونيا بصوت غاضب :

ــ أوه ! كفاك ، يا روديا !

لبثا صامتين دقيقتين : كان راسكولنيكوف جالسا مطرقا برأسه الى الارض ودونيا واقفة الى الجانب الاخر من المنضدة تنظر اليه وعلى وجهها أمارات الالم والعذاب • وفجأة نهض واقفا :

ــ ان الساعة دنت والوقت قد أزف • سوف أمضي لأسلم نفسي• لكنني لست أدري لِمَ أفعل ذلك •

وانثالت دمعتان كبيرتان على خدي الفتاة • فقال :

ــ أتبكين ، يا أختاه ؟ لكن هل تستطيعين مد يدك الي ؟

ــ وهل شككت في ذلك ؟

وضمته بين ذراعيها ثم صرخت ، وهي تضمه وتعانقه :

ــ ألست بتقبلك العذاب تمحو نصف جريمتك ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

زمجر بغضب مفاجيء :

ـ جريمة ؟ أية جريمة ؟ ألمجرد أن قتلت حشرة قذرة ضارة، عجوزا مرابية يستحق قتلها غفران أربعين خطيئة ، عجوزا كانت تمتص دماء الفقراء ، ألمجرد ذلك يعتبر العمل جريمة ؟ لا أظن يا أختاه ، ولا أفكر في أن أغسل يدي من هذا . ما بالهم يصيحون بي من جانب « جريمة! جريمة ! » والآن وأنا الذى على وشك التعرض لخزي مجاني دون سبب أرى بوضوح كم في دناءتي وانحطاط نفسي من شذوذ ! لعله لمجرد الانحطاط والعجز أستمسك بهذا القرار ، بل ولعل فيه بعض المصلحة كما ألمح بورفير !

هتفت دونيا بيأس :

ـ أخي ، أخي ماذا تقول ؟ لكنك أهرقت دما .

فاسترسل بعنف وخشونة :

ـ ليهرق كل الناس ما شاؤوا من الدم . ان ما سأل منه وما سيسيل جازفا على الأرض يهرق كما تسفح الشامبانيا . ومن أجله يتوجون في « الكابيتول (١) » ، ويرفعون الى مصاف المحسنين للانسانية ! أنظري الى الامر بشيء أكثر من الانتباه واحكمي ! انني شخصيا كنت أريد خير الناس . وكان بودي أن أؤدي مئات الألوف من الأعمال الحسنة لأعوض عن هذه الحماقة البسيطة ، التي لم تكن حماقة بالمعنى المفهوم ، بل كانت غباوة . ان الفكرة في حد ذاتها لم تكن حمقاء كما بدت الان بعد الفشل ... لأن كل ما يفشل يعتبر شاذا غريبا . لقد

---

(١) الكابيتول : هضبة من هضاب روما السبع وبمعنى اصح احدى قمتي تلك الهضبة التي كان عليها معبد جوبيتر كابيتولن . ويراد بهذا التعبير التحدث عن قمة المجد ، والكابيتول ايضا قلعة رومانية قديمة وقصة هجوم الغاليين عليها واندحارهم بسبب طيور الاوز معروفة ـ المترجم ـ

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أردت بهذه الفعلة البليدة أن أخلق لنفسي مركزا مستقلا ، أن أتقدم ، أن أخطو الخطوة الاولى ، أن أتدبر موارد لا تنضب ، وعندئذ كنت سأقيم الأمر وأنظمه للصالح العام ... لكنني تعثرت عند أول خطوه لأنني ندل ! جبان ! والقضية كلها هنا ! لكنني لا أشاطرك وجهة نظرك: لو أنني نجحت لصيغت لي التبجان بينما يُدفع بي الآن الى التشهير والخزي !

ـ كلا يا أخي ليس الأمر كذلك ، ليس هذا ! ماذا تقول ؟

ـ ماذا ! انني لم أتبع الأصول في عملي ، تلك الأصول المأخوذة عن الجمال الطبيعي وواجب بقائه . لعمري لست أفهم بعد الان شيئا . كيف يُعتبر القاء القنابل على الجماهير خلال حصار منظم مراعاة للاصول ؟ ان الخوف من الجمال الطبيعي هو أول اشارة من اشارات العجز . انني لم أحس به أبدا كما أشعر به الآن ، ولم أفهم من قبل أبدا ما هي جريمتي كما فهمتها الان . انني لم أكن أبدا أكثر قوة وقناعة مما أنا عليه الان .

كان وجهه الشاحب المتقلص قد غدا فجأة أحمر . وبينا هو ينطق بجملته الاخيره وقع بصره فجأة على عيني دونيا . فقرأ في نظرتها ألما عميقا فظيعا . فتمالك نفسه ، وصمت مرغما . شعر أنه سبب شقاء تينك الامرأتين . نعم لقد كان سبب تعاستهما .

ـ دونيا ، يا عزيزتي ! انني مذنب فاصفحي عني ، رغم أنه لا صفح عني اذا كنت مجرما . الوداع يا أختي ولنتوقف عن الحديث. لقد أزف الوقت ، الوقت المناسب . لا تتبعيني أتوسل اليك . انني سأقوم بزيارة أخرى ... اذهبي من فورك الى أمي وامكثي قربها . ان هذا آخر رجاء أتوجه به اليك . لا تفارقيها لحظة واحدة . لقد تركتها في ذعر عنيف لن تستطيع التغلب عليه : لسوف تموت منه أو تجن . امكثي الى

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

جانبها ! وسيكون رازوميخين قريبا منكما • لقد تحدثت اليه ••• لا تبكي علي • سأعمل جاهدا لأكون كل حياتي شجاعا شريفا ، رغم أنني مقاتل • لعلك ستسمعين اسمي يذكر يوما ما • لن أجعلك تشعرين بالخزي من ذكره • لسوف ترين • سأثبت أيضا •••

توقف برهة وراح يتأمل وجه أخته فوجد تعبيرا غريبا في عينيها، تعبيرا سببته وعوده الأخيرة ، فقال مسرعا :

ـ بالانتظار أودعك ، يا أختاه • لِمَ تبكين هكذا ؟ لا تبكي ، لا تبكي • لن نفترق نهائيا ! آه ! نعم !انتظري لقد نسيت !

مضى نحو المنضدة فحمل كتابا ضخما يغطيه الغبار ، فتحه واستخرج من بين صفحاته صورة صغيرة ، صورة زيتية رسمت على قطعة من العاج • كانت صورة ابنة صاحبة المسكن ، الشابة التي ماتت من الحمى الساخنة ، والتي كانت مخطوبته من قبل ، بعد أن كانت تريد انهاء حياتها في الدير • تأمل ذلك الوجه الصغير المعبر المتألم برهة طويلة ، ثم قبل الصورة وقدمها الى دونيا •

قال وكأنه في حلم :

ـ لقد تحدثت عن نظريتي مرارا معها ، معها وحدها • لقد أعطتني قلبها استودعته أسراري فأودعته كل ما في روحي • اطمئني يا أختاه، انها لم تكن توافق عليه ، مثلك تماما • انني الان سعيد لأنها ذهبت من الوجود • ان المهم ، المهم في ذلك ، هو أن يعاود المرء الحياة مجددا ، أن ينقطع تماما عن الماضي•

ارتفع صوته عندما بلغ تلك النقطة الحساسة التي سببت ألمه ، وهتف مردفا :

ـ هل أنا على استعداد لاجابة ذلك ؟ هل أملك الارادة الكافية ؟ أن هذه التجربة ضرورية لي كما يزعمون ! ما فائدة هذه التجارب

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الغريبة ؟ ما هي فائدتها ؟ أتراني لا أستطيع فهمها الا بعد أن أكون قد تحطمت من الالم وأصبحت أحمق ، عجوزا مهدما أنهكه فضاء عشرين عاما في سجن الأشغال الشاقة ؟ أي نفع سيكون لي بعد ذلك في الحياة؟ لِمَ تقبلت الان مثل هذا الوجود ؟ أوه ! كنت أعرف أنني نذل وجبان! لقد عرفته هذا الصباح عندما انحنيت على نهر « النيفا » ...

وأخيرا خرج كلاهما . كانت دونيا تحس بألم عنيف واجهاد عميق لكنها كانت تحب أخاها . ابتعدت عنه ولكن لم تقطع خمسين خطوة حتى استدارت مرة أخرى لتنظر اليه . كانت لا تزال تستطيع رؤيته . فلما بلغ منعطف الشارع التفت هو الآخر للمرة الاخيرة وتقابلت نظراتهما . فلما رآها واقفة تنظر اليه ، أشار لها بيده اشارة تدل على نفاذ الصبر والغضب ، ليفهمها بأنه يريد منها أن تتابع طريقها . ثم اختفى وراء المنعطف .

ندم اد أشار لها تلك الاشارة العنيفة : « انني خبيث ، انني أرى ذلك بوضوح . ولكن لِمَ تحباننني طالما أنني محبتهما ! آه ! ليتني كنت وحيدا ، ليت أحدا لم يحبني قط ، وليتني ما أحببت انسانا قط . لو تحقق لي ذلك لما وقع ما وقع ! انني أضحي بشيء كثير لأعرف ما اذا كنت بعد خمسة عشر أو عشرين عاما سأكون ذا نفس متواضعة أتباكى من النسيك والورع أمام الناس ، وأتهم نفسي بالسفالة في كل مناسبة. اه نعم ، هذا هو السبب الذي من أجله يرسلونني الى « الليمان » ... انهم على آثاري وكل واحد منهم سافل نذل بفطرته بل وأسوأ من هذا ... يا لي من أحمق . لكنني اذا حاولت تجنب « الليمان » اعترتهم كلهم غضبة بالتقوى والورع ! أوه ! كم أمقتهم جميعا » .

استغرق في تفكيره وراحت الاراء تتمثل له : « بأية وسيلة يستطيع أخيرا أن يزيل ما بينه وما بين الجميع وأن يصطلح معهم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

باخلاص ؟ ثم لم لا يصطلح ؟ لسوف يكون الامر كـذلك . ألا تكفي عشرون عاما من العبودية المستمرة للحصول على هذا الصلح ؟ ان المـاء ينخر الحجر . ثم لم أعيش وما الفائدة من الحياة بعد ذلك ؟ لم أذهب الى هناك وأنا أعرف أن كل شيء سيتم وكأنه مسطور في كتاب ؟ »

وعلى الرغم من أنه ألقى على نفسه هذا السؤال للمرة المائة منذ أمس فانه استمر يتابع الطريق .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٨

لما بلغ مسكن سونيا كان الغسق قد أقبل ، وكانت سونيا قد فضت نهارها كله تنتظره بقلق رهيب . لقد أمضت دونيا شطرا طويلا من النهار معها لأنها تذكرت ما قاله لها سفيدريكايلوف من أن سونيا « تعرف ذلك » . لن نورد هنا تفاصيل الحديث الذي دار بين المرأتين، ولن نصف عبراتهما والعواطف التي أحست بها كل واحدة منهما حيال الأخرى ، بل نكتفي بالقول ان دونيا خرجت من تلك المقابلة الطويلة بعزاء واحد : وهو أن أخاها لن يكون في منفاه وحيدا . لقد جاء اليها ، الى سونيا ، واعترف أمامها قبل أن يعترف أمام انسان . جاء اليها يسألها وجودا حيا الى جانبه ، لما كان ذلك الوجود الحي ضرورة ملحة قصوى بالنسبة اليه . لذلك فانها ستتبعه الى أي مكان يودي به اليه مصيره . صحيح أن دونيا لم تكن قد تأكدت من أن الأمر لن يكون الا على هذا النحو . بل انها كانت تتأمل سونيا بلون من الاحترام ، جعلها أول الأمر تبدو شديدة الخجل ، تكاد أن تبكي لشدة اعتقادها بأنها غير جديرة بأن ترفع أبصارها الى سونيا ، على عكس ما بدر من هذه نحوها . كانت صورة دونيا التي حيتها لأول مرة بكثير من العناية والاحترام ، ابان لقائها الاول بها عند راسكولنيكوف ، محفورة في فؤادها باقية الى الابد . وكانت سونيا تنظر اليها كأجمل وأبدع ما في الحياة .

لم تستطع دونيا تمالك نفسها طويلا ، فافترقت عن (سونيا) ، وذهبت تنتظر أخاها في مسكنه ، لأنها خمنت أنه سيمضي الى هناك أول الأمر. فلما بقيت سونيا وحدها عادت الآلام والمخاوف تستحوذ على نفسها .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كانت تخشى أن يعمد راسكولنيكوف الى الانتحار ، وكذلك كان شعور دونيا . لكنهما كانتا تحاولان اقناع بعضهما باستحالة لجوئه الى الانتحار ، متذرعتين بشتى الحجج والذلالات مسبغتين بذلك الطمأنينة على قلبيهما . لكنهما ما كادتا تفرقان عن بعضهما حتى عادت تلك الفكرة الأليمة تنهش فؤاد كل منهما .. تذكرت سونيا أن سفيدريكايلوف قال لها أمس : « ان أمام راسكولنيكوف طريقين : الذهاب الى سيبيريا أو ... » كانت تعرف مبلغ كبرياء راسكولنيكوف وعقليته واعتداده وفخاره وجحوده، ففكرت واليأس يغزو صدرها: « ألا يمكن أن يدفعه ضعف نفسه وخوفه من الموت الى التمسك بالحياة ؟ » . كانت الشمس على وشك المغيب وهي لم تبرح مكانها قرب النافذة تنتظر بحزن ، شاخصة البصر ، الى نقطة معينة ، دون أن ترى شيئا الا جدار المنزل المقابل المتسخ . وأخيرا آمنت بأن التعس قد مات فاجتازت عتبة الغرفة .

انطلقت من أعماق قلبها صرخة فرح ، لكنها لم تلبث أن امتقع وجهها فجأة حينما تأملت وجه راسكولنيكوف الذي أطل عليها في تلك اللحظة .

قال راسكولنيكوف مغمغما :

ـ حسنا يا سونيا ، جئت آخذ صليبك . لقد قلت لي بنفسك أن أمضي الى مفترق الطريق ، وماذا كذلك ؟ ألأن الامر سوف يتم كما قلت ، أراك بدأت أنت الأخرى تخافين ؟

راحت سونيا تتأمله بذهول . لقد بدت لهجته غريبة جدا على مسامعها فأحست بقشعريرة باردة تجتاح جسمها ، لكنها بعد دقيقة واحدة تأكدت من أن تلك الاقوال وتلك اللهجة لم تكن الا خدعة . كان راسكولنيكوف ، وهو يتحدث ، ينظر الى احدى الزوايا متحاشيا التقاء بصره ببصرها .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ اسمعي يا سونيا ، لقد فكرت بالأمر واقتنعت بأن الاعتراف أجدى • ان هناك فرصة ••• يطول بحثها وشرحها لكن ذلك لا يهم ! أتدرين ما يغضبني ويثيرني ؟ انني أشمئز لمجرد التفكير بأن كل هؤلاء السخفاء منتفخي الوجوه ، هؤلاء الوحوش ، سيلتفون حولي ، ويصوبون مصاييحهم نحوي ، وأنهم سيطرحون علي أسئلة سخيفة ينبغي أن أجيب عليها ، ويشيرون الي بأصابعهم • بواه ! لن أذهب الى بورفير • كفاني ما نلت منه ازعاجا • سأذهب الى صديقي بارود • سوف أذهله للوهلة الأولى • ولكن ينبغي للمرء أن يحتفظ بهدوئه • انني أثير نفسي منذ مدة طويلة دونما سبب • هل تصدقين أنني منذ حين كدت أرفع يدي مهددا أختي لمجرد أنها التفتت مرة أخيرة لتنظر الي ؟ ان مثل هذه المواقف تجعلني أتصرف تصرفا حيوانيا ! ترى هل انحدرت الى هذا الدرك ! هيا ، أين الصليبان ؟

لم يكن يبدو في حالة طبيعية لأنه ما كان يستقر لحظة في مكان واحد ، ولا يستطيع تركيز انتباهه في شيء واحد • كانت أفكاره تتعاقب بسرعة عاصفة تدوي في رأسه ويداه ترتعدان قليلا •

مدت سونيا يدها بسكون الى علبة أخرجت منها صليبين أحدهما من خشب السرو والآخر من النحاس • وبعد أن رسمت علامة الصليب على نفسها وعلى راسكولنيكوف طوقت عنقه بالصليب المصنوع من السرو •

ـ على العموم ان هذا يعني رمزيا بأنني أحمل صليبي، هه هه ! الحقيقة أنني لم أتألم بما فيه الكفاية حتى الآن ! ان الصليب المصنوع من السرو هو صليب شعبي، أما ذلك النحاس فهو صليب اليزابيت وانك تحتفظين به لنفسك • أرينيه ؟••• هكذا اذن كانت تحمله في تلك اللحظة ؟•• لقد رأيت شيئين آخرين مشابهين لهذين : صلبا من الفضة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وصورة صغيرة . لقد ألقيت بهما آنذاك على صدر العجوز . كان يجب أن أطوق بهما عنقي. على كل حال انني أخرف . انني أنسى قضيتي . انني ساهم ... اعلمي يا سونيا أنني جئت لأبلغك لكي تعرفي ... حسنا ، هذا كل شيء ... لم أحضر الا من أجل هذا . هم ! مع ذلك كنت أفكر في أن أقول أكثر مما قلت . لكنك أنت دفعتني الى اتباع هذا السبيل . لسوف أوضع في السجن . ولسوف تنفذ رغبتك. هيا، لمَ تبكين ؟ أنت الأخرى ؟ هما كفي . آه ! كفاني منكما .

في تلك اللحظة نبت في قلبه شعور جديد . شعر أن قلبه يعصر بينما كان ينظر اليها : فغمغم في سره : « هذه ، رباه ! ماذا أكون بالنسبه اليها ؟ لماذا تبكي ؟ لم تتصرف كما لو كانت أمي أو دونيا ؟ » .

توسلت اليه سونيا بصوت متهدج مذعور :

ـ ارسم اشارة الصليب ، صلِّ قليلا على الاقل .

ـ أوه ! اذا كان ذلك يرضيك لسوف أعمل منه بالقدر الذي تشائين . عن طيب خاطر يا سونيا ، عن طيب خاطر .

كان يود أن يقول شيئا آخر . لكنه لم يستطع الا أن يرسم ويكرر اشارة الصليب . نزعت سونيا منديلها ولفته حول رأسه . كان منديلا من قماش « المدام » . لا شك أنه كان « منديل العائلة » الذي تحدث عنه مارميلادوف . خطرت هذه الفكرة في رأس راسكولنيكوف لكنه امتنع عن السؤال . بدأ يلمس في نفسه سهوما شاذا ، ويحكم أن اضطرابه غير طبيعي . كان ذلك يرعبه . وفجأة أذهله أن يرى سونيا تتهيأ للخروج معه .

هتف بلون من الغضب والحنق ، وهو يتجه نحو الباب :

ـ ماذا تعملين ؟ الى أين تذهبين ؟ ابقي ؟ سأمضي وحدي ؟

ثم أردف مغمغما ، وهو يخرج من الغرفة :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لمَ أحتاج الى مرافقين ؟

لبثت بيونيا في غرفتها . لقد تركها دون أن يودعها بكلمة ، لقد تسببها لأنه كان يسير مدفوعا بفكرة ثائرة .

تساءل وهو يهبط السلم : « هل يجب أن أعمل ذلك ؟ هل هذا ما يجب أن أعمله ؟ ألا سبيل الى اصلاح كل شيء ؟... الى عدم الذهاب الى هناك ؟ »

ظل يمشي وهو يحس احساسا نهائيا بأنه لا يجب أن يطرح على نفسه أي سؤال . فلما بلغ الشارع تذكر أنه لم يودع سونيا ، وأنها كانت متسمرة في منتصف الغرفة ، ممسكة بمنديلها في يدها ، لا تريم ولا تتحرك ، خشية أن نغضبه ، فيصيح ويزمجر ! وفي تلك اللحظة بالذات ، ومضت في خاطره فكرة كالبرق ، فكرة بدت كأنها انتظرت تلك اللحظة بالذات لتظهر على أشد ما تكون سيطرة .

« لماذا ذهبت الى مسكنها ؟ لقد قلت لها بأنني جئت من أجل عمل، أي عمل هو ؟ لم يكن لدي ما أقوله لها ! ألمجرد أن أقول انني ذاهب الى هناك ؟ يا لها من حجة مبررة ؟ ألا يمكن أن أكون أحبها مثلا ؟ لكن كلا، ويحي كلا ! ألم أنبذها منذ قليل كالكلب ؟ هل كنت في حاجة الى صليبها ؟ ويحي هل انحدرت الى هذا الدرك ! كلا . كانت دموعها هي التي أردت تأملها ، امارات ذعرها ! كنت أريد مشاهدة قلبها ينمزق ويتصهر ! انها حاجتي الى التعلق بشيء ما، الى التأني والتأخر، حاجتي الى رؤية مخلوق حي ! وأنا الذي جرؤت على بناء آمال جسام على مقدرتي والتفكير في تلك الاحلام الطامحة ، بينما لست الا متسولا حقيرا نذلا جبانا ! »

كان يسير على طول رصيف القنال ، ولم يكن عليه أن يقطع مسافة طويلة . لكنه ما أن بلغ الجسر حتى توقف ، وانعطف فجأة متجها نحو « سوق العلف » .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

راح ينظر بشوق ولهفة يمينا وشمالا محاولا عبثا تفحص كل شيء في طريقه ، لأنه ما كان يستطيع تركيز اهتمامه في شيء • كان كل شيء يفر من أمامه • وأتته فكرة : خلال شهر أو ثمانية أيام سوف أنقل الى مكان ما في احدى عربات السجن ، ولسوف تمر تلك العربة فوق هذا الجسر • فبأي عين سأتأمل القنال ؟ هل سأذكر أنني رأيتها على هذا النحو ؟ وهذه اللافتة كيف سأقرأ أحرفها ؟ انني أرى مكتوبا عليها الان « كامباينا » فهل سأذكر حرف الـ « آ » هذا ؟ ان عيني توقفتا فترة على هذا الحرف ، فهل سأنظر اليه عند ذاك كما أنظر اليه الان ؟ كيف ستكون احساساتي ومشاعري ؟ رباه ، ان كل هذه ••• المشاغل ينبغي أن تكون حقيرة ! لا شك أن هذا مثير في نوعه ها ! ها ! ها ! بأي شيء كنت أفكر ! انني أشبه بالصبية الصغار ! كالاطفال • هيا ، لمَ أحمر خجلا من نفسي ؟ أف ! انهم يدفعونني • لا شك أنه هذا الرجل الضخم ، انه ألماني ولا شك ، وهو الذي دفعني • لكن هل يعرف أنه أصابني بمرفقه ؟ ان هذه العجوز التي تجر الطفل معها تطلب مني الاحسان • يا للأمر المثير ! انها تعتقدني أكثر سعادة منها ! لكنني أعتقد أن اعطاءها صدقة لا يخلو من مفارقة لطيفة • حسنا ان في جيبي خمسة «كوبيكات» باقية • من أين أتتني ؟ خذي ، خذي ، خذي أيتها الأم الصغيرة !

هتفت السائلة بصوت منتحب :

ـ ليحفظك الله !

دخل الى « سوق العلف » وأحس بشعور كريه ، بل كريه جدا لاضطراره الى دفع العديد من الاشخاص المجتمعين ليفسح لنفسه ممرا ، مع ذلك فقد كان يتجه الى حيث الازدحام على أشده • كان مستعدا للتضحية بكل شيء في سبيل البقاء وحيدا ، لكنه ما كان يستطيع احتمال تلك الوحدة دقيقة واحدة • كان هناك أحد السكارى

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يصخب ، يبدو أنه كان يريد أن يرقص ، لكنه لا يكاد يقف على قدميه حتى يهوي مرة أخرى على الارض • فالتف عدد من الفضوليين حوله • وشق راسكولنيكوف لنفسه طريقا بين الجمع المحتشد ، ونظر بضع لحظات الى حيث كان الرجل الثمل ، فامتلكته ضحكة مجنونة اهتز لها جسده • لكنه بعد دقيقة واحدة لم يعد يرى السكران أمامه • لقد نسيه رغم أن عينيه كانتا تنظران اليه • ابتعد دون أن يدري الى أين مضى وأين بلغ • لكنه ما أن وصل الى وسط الميدان الذي وجد نفسه فيه ، حتى انبعثت حركة في نفسه • شعور اكتسحه من رأسه الى أخمص قدميه • شعور احتل جسده وعقله •

تذكر فجأة أقوال سونيا : « اذهب الى مفترق طرق ، وحي الجمهور ، وانحنِ الى الارض فقبلها ، لأنك أسأت اليها ، واهتف عاليا ليسمعك الناس : انني قاتل » • ارتعش فجأة وهو يتذكر تلك الكلمات • كانت الالام الهائلة والمخاوف العنيفة التي مرت عليه خلال أيامه السابقة ، وخصوصا في الساعات الاخيرة ، قد هدت قواه ، وأنهكت حيويته ، فانهار بكليته وكأنه أراد أن يتذوق هذا الاحساس الجديد • امتلكته نوبة عجيبة ، وومضت في روحه ومضة ساطعة أزكتها فجأة • أحس بتحنان عميق ، فسالت دموعه على وجنتيه • تهاوى في المكان الذي وقف فيه ، وجثا على ركبتيه وسط الساحة ، وانحنى الى الأرض • قبل الارض القذرة الموحلة بحماس وسعادة ، ثم نهض وانحنى مرة أخرى •

هتف رجل كان قريبا منه :

ــ انظروا الى هذا • لقد شرب كثيرا !

وتعالت الضحكات من حوله •

أردف أحد الصناع ، وكان نصف ثمل :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ انه أحد الذاهبين الى أورشليم ، أيها الأولاد . انه يبتعد عن أولاده ووطنه فيحيي الناس ويقبل مدينة سان بطرسبـــورغ وأرضهـــا القبلة الأخيرة .

وأجاب ثالث :

ـ انه لا زال شابا فتيا .

فأردف آخر ملاحظا :

ـ ومن أسرة طيبة .

ـ لا يمكن التمييز اليوم بين أبناء الأسر الطيبة ومن ليسوا كذلك .

أزعجت تلك المحاورات والملاحظات راسكولنيكوف ازعاجا كليا حتى أن كلمتي « لقد قتلت » اللتين كانتا على وشك الانطلاق من صدره ماتتا على شفتيه . لكنه احتمل تلك الصيحات بهدوء عجيب واتجه دون أن يلتفت حوله الى قسم الشرطة . لكن مشهدا واحدا مثل أمام عينيه بينما كان في طريقه . مشهدا لم يدهش له ، شعورا خفيا كان يؤكد له حقيقة ما رأى : في اللحظة التي كان منحنيا فيها الى الارض في «سوق العلف » لمح الى يساره على بعد خمسين خطوة من مكانه وجها مألوفا: كان وجه سونيا . كانت تحاول التستر وراء كوخ خشبي لتحجب نفسها عن ناظريه . اذن ، لقد كانت تتبعه الى مصيره المؤلم ! منذ تلك اللحظة، شعر راسكولنيكوف وفهم نهائيا أن سونيا ستبقى معه أبدا ، وستتبعه دائما ، ولو كان ذلك الى نهاية العالم ، الى حيث يقوده مصيره. أحس الفتى بقلبه ينصهر ... لكنه كان قد بلغ المرحلة الأخيرة . دخل الباحة بخطى متزنة ثابتة . وكان عليه أن يصعد الى الطبقة الرابعة . فهتـــف يشجع نفسه : « الى الأمام ، ليصعد » . خيل اليه أنه لا زال أمامه بعض الوقت وانه يستطيع خلاله أن يتخيل ما شاء من الأفكار .

صافحت أنظاره تلك القذارة المعهودة والقشور التي كانت مبعثرة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على السلم هنا وهناك حيث كانت أبواب المساكن المطلة عليه مفتوحة كعهده بها من قبل ، وعبقت في أنفه رائحة تلك المطابخ التي كانت تتصاعد منها أبخرة الطعام ورائحة الفحم • لم يكن راسكولنيكوف قد عاد الى هذا المكان بعد زيارته الأولى ، فشعر بأن ساقيه لا تقويان على حمله • مع ذلك فقد استمر صاعدا • كان يتوقف أحيانا ليسترد أنفاسه كي يدخل الى القسم كما يدخله «الرجل» • راح يتساءل في سره : « ما نفع ذلك : لِمَ أتصنع في حركاتي طالما أنني سأشرب الكأس حتى الثمالة ؟ كلما ازداد الموقف حقارة كلما كان أجدى » • تمثل في خاطره في تلك اللحظة وجه ايليا بيتروفيتش ، فراح يتساءل من جديد : « هل أمضي اليه حقيقة ؟ ألا أستطيع أن أتوجه الى أي آخر ؟ لِمَ لا أقصد الى نيكلوديم فوميتش ؟ ماذا لو ذهبت الان مباشرة الى مسكن رئيس البوليس ؟ ان استسلامي في هذه الحالة سيكون أقل اشتهارا ؟ كلا ! كلا ! علي بـ « بارود » • ولنشرب الكأس جرعة واحدة طالما أنه لا بد من شربها » •

كانت قشعريرة بارده تسكن في أطرافه ، ولما فتح باب المكتب لم يكن يعي ما يعمل • لم يكن في الحجرة في تلك اللحظة عدد كبير من الأشخاص • كان هناك بواب ورجل من الشعب في الردهة • أما الحارس المناوب فلم يرفع عينيه الى فوق الحاجز • تخطى راسكولنيكوف الحجره الى الغرفة المجاورة وفكر فجأة : « انه لا زال يستطيع التزام الصمت » • كان أحد المقيدين من رجال الشرطة مرتديا ألبسة مدنية ، جالسا أمام مكتب يدون شيئا ، وكان آخر قابعا في احدى الزوايا ، أما زاميوتوف فلم يكن موجودا وكذلك نيكوديم فوميتش لم يكن في مكتبه •

سأل راسكولنيكوف موجها حديثه الى الجالس وراء المكتب :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ــ ألا يوجد أحد ؟
ــ من تريد ؟
وارتفع صوت عرفه راسكولنيكوف فانتفض :
ــ هبه هبه !... لقد خمنت دون أن أرى أو أسمع شيئا ، انه روسي كما جاء في احدى القصص ... احتراماتي .

كان « بارود » واقفا أمامه في تلك اللحظة وقد خرج من الغرفة الثالثة . فكر راسكولنيكوف في سره : « ان القدر يريد ذلك . لماذا وجده في تلك اللحظة ؟ » .

بدا ايليا بيتروفيتش وديعا حسن الوجه في تلك اللحظة ، فهتف:
ــ أنت عندنا ؟ كيف ذلك ؟ انك اذا كنت هنا بصدد عمل ما، فان الوقت مبكر جدا . انني شخصيا لم أحضر الا بمحض الصدفة . على كل حال أية خدمة أستطيع .. ثق أنني .. ماذا كان اسمك ؟ اعذرني..
ــ راسكولنيكوف .

ــ صحيح راسكولنيكوف ! لا تظنن أنني كنت ناسيا اسمك . أرجوك أن لا تصدق ، ياروديون ... رو ... روديونيتش ، أليس كذلك ؟

ــ روديون رومانوفيتش .

ــ آه نعم نعم نعم، روديون رومانوفيتش، روديون رومانوفيتش! ذلك هو الاسم الذي كنت أبحث عنه . لقد استفسرت أكثر من مرة عن أخبارك . انني أعترف لك بأنني منذ ذلك [illegible] شديد الأسف للمعاملة التي لقيتها بسببي ... لقد أوضحوا لي الأمر بعدئذ ، ففهمت أنك أديب شاب بل وعالم ... وأنك كنت تخطو خطواتك الأولى اذا صح القول ... رباه ، من هو ذلك الأديب ، بل من هو ذلك العالم الذي لا يتصرف في بدء حياته تصرفا طائشا ؟ ان زوجتي وأنا

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

نحب الأدباء . أما زوجتي فانها تشعر نحوهم بميـــل عنيف ! الأدب والفن ! مهما بلغ المرء من نبل المحتد فان الحياة لا يمكن أن تدين له الا بالموهبة والعلم والعقل والعبقرية . القبعة ، ما هي القبعة ؟ ما معناها؟ انها قطعة مستديرة أشتريها من محلات « زيميرمان » . لكن ما تخفيه القبعة ، أو ما هو تحت القبعة ، فـانني لا أستطيـع أن أشتريـه !... أعترف لك بأنني أردت شخصيا أن أزورك في مسكنك لأعتذر لك . لكنني فكرت بأنك قد ... على كل حال ، هل لك أن تبين سبب زيارتك ؟ لقد بلغني أن أسرتك جاءت تزورك .

ـ نعم ، أمي وأختي .

ـ لقد تشرفت مرة وأسعدت بالالتقاء بأختك . انها مثقفة شديدة الفتنة . انني آسف ، وأعترف بأن الموقف الذي جرى بيننا لم يكن الا صدفه مزعجة ! غير أنني اذا نظرت اليك في حينه نظرة شك بسبب اغمائك ، فان أسباب ذلك الاغماء قد وضحت بشكـل صـارخ ، ان نظريتي كانت خالية ! انني أفهم سبب انزعاجك . لـكن ألا تفـكر في تبديل مسكنك بمناسبه وصول أسرتك ؟

ـ كلا ... لقد جئت أسألك ... كنت أعتقـد أنني سـأجد زاميوتوف .

ـ آه ! نعم ... لقد أصبحتما صديقين ، سمعتهم يقولون ذلك. حسنا ان زاميوتوف لم يعد عندنا . انك لن تجده بعد اليوم . نعم لقد فقدنا ألكسندر غريغورييفيتش ! اننا منذ البارحه لم نعد نستفيد من خدماته لأنه قدم استقالته ... بل انه قبل ذهابه وجه كلمات نابية الى كل الموجودين تقريبا . نعم لقد اندفع الى حد الخـروج عـن الأدب واللياقة ... انه أبله ينقصه الاتزان في عقله ليس أكثر . صحيح أنـه كان يرجى له بعض الصلاح لكن ، هيا وجرب شبيبتنا اللامعة . يبدو

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أنه سيجتاز الغموض ليسبب لنا متاعب في المستقبل ، برهانا على أنه نجح • لكن أمره يختلف كل الاختلاف عن أمرك أنت ، وعن أمر السيد رازوميخين صديقك • لقد أقمت لنفسك كيانا علميا وسلكت هذا السبيل ، ولايمكن لأي اخفاق أن يجعلك تحيد عنه ! فما يتعلق بك، أعتقد أن كل ما يكون جمال الحياة التجديدية الملحدة يروق لك، أليس كذلك ؟ ان حياتك تشبه حياة ناسك أو متعبد !••• كتاب وقلم وراء أذنك وبحوث علمية ، تلك هي كل سعادتك ! انني شخصيا الى حد ما ••• هل قرأت مذكرات « ليفينغستون (١) » ؟

ـ كلا •

ـ أما أنا فقد قرأتها • ان عدد الملحدين يزداد باطراد • والأمر شديد الوضوح • في أي وقت نعيش نحن ؟ انني أسألك • لكن ها أنا ذا أتحدث معك ••• لا شك أنك لست ملحدا • أجب بصراحة • بصراحة •

ـ كلا •

ـ كلا ؟ انك تستطيع التحدث بكل صراحة • لا ترتبك أبدا• كن معي وكأنك وحيدا مع نفسك • ان الوظيفة شيء و ••• شيء آخر • لعلك ظننت أنني سأقول والصداقة • ولكن لا ! انك لم تخمن ! ليست الصداقة ، ولكن شعور الرجل ، شعور المواطن ، شعور الانسانية والحب نحو الله القادر • صحيح أنني شخصية رسمية ، موظف، لكنني لست في حل من التحرر من الشعور بأنني مواطن ورجل ، وأنني يجب أن أثبت ذلك ••• خذ مثلا ••• لقد تحدثت عن زاميوتوف • ان

---

(١) ليفينغستون : دافيد ليفينغستون رحالة انجليزي ولد في ايقوسيا • زار افريقيا الوسطى والجنوبية ومنطقة زامبز في البحيرات الكبرى • وكان مبشرا حارب الرقيق الاسود ١٨١٣ ـ ١٨٧٣ ـ المترجم ـ

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

زاميوتوف هذا على استعداد لأن يصخب ويمرح على الطريقة الفرنسية في كل الاماكن الموبوءة اذا كان محتسيا قدحا من الشامبانيا أو من خمرة « الدون » . هذا هو زاميوتوف ! أما أنا فانني شديد الاخلاص كما يمكن أن أقول ، نشتعل في نفسي عواطف سامية. ثم ان لي مركزي ورتبتي ومرتبتي التي أشغلها ! وأنا متزوج وعندي أولاد . انني أفو- بواجبي كرجل ومواطن . بينما هو ، من هو ؟ اسمح لي أن أسألك . انني أتوجه اليك بالحديث بوصفك رجلا رفعته الثقافة . خذ مثلا كذلك النساء العاقلات . لقد ازداد عددهن أكثر من الحد المعقول ...

كان راسكولنيكوف ينظر اليه بتبلد ، وكانت كلمات ايليا بيتروفيتش التي اقتبسها ولا شك عن كتاب ما ، تدوي في أذنيه، وكأنها كلما تفارغة المعنى . مع ذلك فانه كان يفهم بعضا منها ، وكان يسأل ايليا بيتروفيتش بعينيه وهو لا يدري كيف يصل الى نهاية كل هذا.

تابع ايليا بيتروفيتش الذي لم يكن ينصب له معين :

— انني أتحدث عن أولئك الفتيات الناعمات ذوات الشعر المقصوص . لقد أسميتهن بنفسي بالنساء العاقلات . وأعتقد بأن هذا اللقب موفق تماما هه ! هه ! هذه تدرس ، وتلك تتعمق في التشريح. قل لي بربك اذا مرضت ذات مرة، فهل سأستدعي فتاة لتعالجني؟ هه هه!

انفجر ايليا بيتروفيتش ضاحكا سعيدا بكلماته الطيبة :

— ولنفترض أن القضية ليست الا تعطشا للعلم ، تعطشا أهوج . ولكن عندما يتثقف المرء سينوقف ، فلم اذن يسيء التصرف ؟ لم يهين المرء شخصيات نبيلة كما فعل ذلك الصعلوك زاميوتوف ؟ تصور زاميوتوفا يهينني ! ثم لاحظ هذه السلسلة من حوادث الانتحار التي لا تنفك تتزايد . انك لا تتصور بشاعتها . انهم هنا يأكلون آخر قرش معهم ثم ينتحرون . فتيات وغلمان وعجائز من كل نوع . خذ مثلا هذا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الصباح • لقد أبلغنا أن سيدا وصل مؤخرا الى هنا •• نيل بافليتش ، اه ! نيل بافليتش ! ماذا كان اسم ذلك السيد الذي أطلق الرصاص على نفسه في بطرسبورغ القديمة ؟

فأجاب صوت صدى آت من الغرفة المجاورة بلهجة لا مبالية :

ـ سفيدريكايلوف •

ارتعد راسكولنيكوف وهتف دون وعي :

ـ سفيدريكايلوف ! سفيدريكايلوف أطلق الرصاص على نفسه؟

ـ كيف ؟ كيف تعرف سفيدريكايلوف ؟

ـ نعم كنت أعرفه ••• لقد وصل منذ فترة قصيرة •

ـ حسنا جدا • صحيح أنه قدم منذ فترة قصيرة • لقد فقد زوجته ، مع ذلك فقد كان من ذلك الطراز الذي لا يعيش الا في البؤر، وفجأة أطلق على نفسه رصاصة • لقد ترك بضع كلمات في دفتره ، قال فيها أنه يموت وهو ممتلك لكافة قواه العقلية ، وأنه لا ينبغي أن يتهم أحد بموته • لقد كان يبدو غنيا هذا الرجل ، كيف عرفته ؟

ـ لقد ••• عرفته ••• كانت أختي مدرسة في بيته •

ـ ها ها ! فهمت ! انك اذن تستطيع امدادنا بالمعلومات • هل لديك بعض الظنون ؟

ـ لقد رأيته البارحة ••• كان ••• يشرب خمرة ••• لست أعرف شيئا •

شعر راسكولنيكوف كأن حملا ثقيلا قد انهار فوقه وسحقه •

ـ ها قد عدت الى الشحوب ! ان الحرارة هنا خانقة •••

غمغم راسكولنيكوف :

ـ نعم • آن لي أن أنصرف • اعذرني لقد أزعجتك •••

ـ آه لا أرجوك • انني في خدمتك ! لقد سرتني زيارتك • انني سعيد جدا أن أقول لك •••

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لقد أردت فقط ••• لقد جئت أرى زاميوتوف •••

مد له ايليا بيتروفيتش يده ، وقال :

ـ انني أفهم ، انني أفهم • سرني حضورك •

فقال راسكولنيكوف باسما :

ـ وأنا كذلك سعيد • الى اللقاء •••

خرج مترنحا وهو يشعر بدوار عنيف في رأسه • لم يكن يحس بأنه واقف على قدميه • راح يهبط السلم ، معتمدا يده اليمنى الى الجدار • خيل اليه أن آذنا كان يحمل دفترا في يده اصطدم به ، وهو يمر بجانبه داخلا الى قسم البوليس ، وأن كلبا كان يعوي في مكان ما في الطبقة الاولى ، وأن سيدة ألقت عليه حصاة وصاحت به تسكته •••

ولما بلغ أسفل السلم ، نزل الى الباحة ، فرأى سونيا واقفة هناك ، ممتقعة الوجه كالأموات ، تنظر اليه نظرة عابسة • توقف قليلا أمامها فبان على وجهها ألم ويأس ، وباعدت بين يديها يائسة • فارتسمت على شفتيه ابتسامة حائرة ، وتوقف برهة ينظر اليها ، ثم قفل راجعا يصعد مجددا سلم دائرة البوليس •

ـ آه آه آه ! ها أنتذا من جديد • هل نسيت شيئا ؟ ولكن ما بك ؟

كانت شفتاه ممتقعتين ونظرته شاخصة • مع ذلك فقد اقترب ببطء حتى بلغ المكتب الذي جلس وراءه ايليا بيتروفيتش واتكأ عليه بيده• كان يريد أن يقول شيئا لكن الكلمات خرجت من فمه غير مفهومة •

ـ هل أنت مريض ؟ أتريد مقعدا ؟ هاك اجلس هنا اجلس • علي بقدح ماء •

تهاوى راسكولنيكوف على المقعد • غير أن عينيه لم تبارحا وجه ايليا بتروفيتش الذي بدا شديد الذهول والدهشة • راح يتفرس في وجهه الآخر خلال دقيقة طويلة • وجيء بالماء •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

شرع راسكولنيكوف يقول :

ـ انه أنا ...

دفع راسكولنيكوف بيده القدح واعتدل في جلسته ثم قال بهدوء ولهجة واضحة :

ـ انني أنا الذي قتلت العجوز المرابية وأختها اليزابيت بضربات فأس وسرقتهما .

وقف ايليا بيتروفيتش فاغرا فاه دهشة ، وتهافت الموظفون من كل صوب .

وجدد راسكولنيكوف اعترافه .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الخاتمة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

١

سيبيريا . على ضفة نهر عريض قاحل تقوم مدينة ، هي أحد المراكز الادارية في روسيا ، وفي تلك المدينة حصن ، وفي ذلك الحصن سجن . كان روديون راسكولنيكوف نزيل ذلك السجن منذ شهرين محكوما عليه بالأشغال الشاقة من الدرجة الثانية . وكان قد مضى على جريمته ثمانية عشر شهرا .

لم تجد قضيته صعوبات تذكر أمام القضاء ، فلقد جدد القاتل اعترافه بشيء كثير من الثبات والدقة والوضوح دون أن يخلط بين المناسبات أو أن يحاول تخفيف الأمور وتحوير الحوادث في مصلحته . لم يدع شاردة ولا واردة الا وأوردها . سرد الوقائع من ألفها الى يائها وأوضح سر قطعة الخشب المغطاة بالصفيح التي وجدت بين يدي العجوز ، وتحدث عن الطريقة التي انتزع بها المفاتيح من جيب القتيل ، ووصف تلك المفاتيح بدقة وكذلك الصندوق . بل وعدد بعضا من موجوداته ! وفسر مقتل اليزابيت الغامض ووصف الطريقة التي قرع بها « كوخ » الباب ، وكيف وصل الطالب بعد ذلك ، وروى الحديث الذي تبادلاه ، وكيفية فراره وسماعه صرخات نيكولا وديتري أثناء هبوط السلم ، وروى كيف اختبأ في المسكن الخالي الذي بارحه الى بيته ، وعين في « شارع الصعود » الساحة المسورة التي أخفى الأشياء والمال تحت حجر قرب الباب فيها . والخلاصة ، فانه لم يترك شيئا غامضا ! وقد دهش المحققون والقضاة بصورة خاصة حينما تأكدوا أن القاتل أخفى المسروقات والمال تحت حجر دون أن يحاول الافادة منها . وأنه لا يذكر تماما نوع الأشياء التي سرقها بل انه يخطىء كذلك في

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عددها . ثم ان عدم فتحه حافظة النقود واطلاعه على ما بداخلها كان وحده أمرا يصعب تصديقه . كان في تلك الحافظة ثلاثمائه وسبعة عشر روبلا وثلاث قطع من فئة العشرين كوبيكا . وكانت الأوراق المالية قد تأثرت لشدة تعرضها للشمس تحت ذلك الحجر . لبث القضاة زمنا طويلا لا يفهمون كيف أن المجرم صدقهم القول في كل شيء ، وكذب في هذه الناحية فقط . كيف روى كل الملابسات الأخرى بطلاقة وصدق وتستر حول هذا الموضوع . وأخيرا توصل بعضهم ــ وكانوا من العلماء النفسانيين ــ الى اعتبار ذلك الأمر ممكنا ، وأنه يجوز أن يكون لم ينظر الى ما في المحفظة ، وأن يكون جاهلا بمحتوياتها عندما أودعها تحت ذلك الحجر . لكنهم قرروا على الفور أن الجريمة ما كانت لتقع لو لم يكن المجرم فريسة جنون مؤقت ، لون من « المونومانيا »، وأن القتل والسرقة قد وقعتا دون مبررات أخرى كالسعي وراء مصلحة شخصية مثلا . واستشهدوا بالنظرية العلمية الجديدة التي تجيز وقوع شلل عقلي مؤقت ، والتي يحاول عدد من المحامين تطبيقها على موكليهم للفوز بالأسباب المخففة . ثم ان حالة الذهول الطويل التي كان راسكولنيكوف فريسة لها قررت وأيدت بشهادات عدد من الشهود بينهم زوسيموف وأصدقاء راسكولنيكوف وصاحبة المسكن وكذلك الخدم ، كل ذلك ساعد على تكوين فكرة عن راسكولنيكوف مفادها أنه لم يكن مجرما عاديا ، قاتلا أو لصا سارقا ، بل ان في الأمر شيئا آخر ينبغي مراعاته . ولشدة ذعر أصحاب هذه النظرية ومؤيديها، فان راسكولنيكوف لم يحاول أبدا أن يدافع عن نفسه لما طرحت عليه الأسئلة الأخيرة ، وسئل عن السبب الذي جعله يرتكب جريمتي القتل والسرقة . فقد أجاب بدقة خشنة : ان السبب كان الفاقة فقط والحالة السيئة التي كان فيها ورغبته في تأمين خطواته الأولى في الحياة بالاستعانة بمبلغ ثلاثة آلاف روبل كان يعتقد أنه واجدها عند ضحيته .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وقال انه صمم على قتلها بسبب اسفاف عقله ودناءة طبعه لأنه كان غاضبا محنقا بسبب الحرمان والعوز والحاجة • ولما سئل عن السبب الذي حدا به الى الاعتراف بجرمه بنفسه ، قال انه الندم المخلص • كان الأمر يبدو كله شديد المجون •••

لكن حكم المحكمة كان رحيما • فقد عني فيه بالاشارة الى أنه نظرا لان المجرم حاول ، بدلا من السعي الى تخفيف جرمه ، ادانة نفسه بشكل أشد ، ونظرا للملابسات والظروف الغريبة الخاصة التي أحاطت بهذه القضية ، فان المحكمة لا يمكن الا أن تنظر اليها بعين الاعتبار• ثم ان حالة المجرم المرضية والفاقة التي كان فيها قبل ارتكابه الجريمة لا شك فيهما • أما سبب عدم استفادته من المسروقات فقد عزته المحكمة الى يقظة ضميره والى حالته العقلية التي لم تكن سليمة حال ارتكابه الجرم • وجاء مقتل اليزابيت العرضي يدعم أقوال المحكمة • لأن المجرم قتل ضحيتين بينما نسي الباب مفتوحا خلال هذا الوقت ! ثم انه جاء يشي بنفسه في اللحظة التي كانت القضية تتعقد بشكل غريب، وتزداد غموضا بسبب اعتراف ميكولا الخاطىء ، ذلك الاعتراف الذي يدل على أن صاحبه بريء تماما • ان الاعتراف من قبل القاتل الحقيقي جاء في فرصة لم يكن التحقيق يملك أي اشارة أو دليل يفضحه ، بل وأي شك (وهذا يدل على أن بورفير بيتروفيتش بر بوعده حتى النهاية) • كل ذلك أخذ في مصلحة القاتل ومنحه أسبابا مخففة • ثم ان حوادث معينة قامت فجأة فأدى الكشف عنها الى زيادة العطف على القاتل • ذلك أن الطالب السابق رازوميخين استطاع أن يكشف في مكان ما عن وجود بعض الشهود الذين استدعاهم ، فأقسموا أن القاتل راسكولنيكوف ، كان خلال دراسته في الجامعة ينفق كل موارده على مساعدة زميل فقير ، مصاب بمرض في صدره ، وأنه استمر ستة أشهر

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

متتالية يقوم بأوده وينفق عليه ، فلما مات ذلك الطالب الفقير ، اهتم راسكولنيكوف بأبيه وهو شيخ عليل سقيم وحيد في الحياة بعد فقده ابنه الذي كان مورد رزقه الوحيد منذ أن كان في الثالثة عشرة من عمره. وقالوا ان راسكولنيكوف أدخل العجوز الى مأوى عام ، ودفع بعد ذلك كل نفقات دفنه عندما مات . وجاءت الارملة زارنيستين تشهد أن راسكولنيكوف كان خلال سكناه عندها في شارع «الزوايا الخمس» قد شهد حريقا في مسكن قريب كان فيه طفلان على وشك الموت احتراقا، فاندفع مغامرا بين النيران وأنقذ الطفلين بعد أن أصيب بحروق في جسده ! وقد أجري تحقيق دقيق للتأكد من صحة أقوال الأرملة، فثبتت حقيقتها بشهادة عدد كبير من الشهود . فكانت تلك الاسباب كلها داعية الى صدور حكم المحكمة بسجن راسكولنيكوف مع الاشغال الشاقة مدة ثمانية أعوام (الدرجة الثانية) نظرا لأنه اعترف بنفسه بجرمه في تلك الظروف وبسبب تلك الاسباب المخففة المذكورة .

كانت أم راسكولنيكوف قد سقطت مريضة منذ بدء محاكمة ابنها فاستطاعت دونيا ، بمساعدة رازوميخين ، ايجاد الوسيلة لنقلها خارج بطرسبورغ خلال مدة المحاكمة . وانتقى رازوميخين مدينة صغيرة واقعة على مسافة قريبة من بطرسبورغ ، يربط بينهما خط حديدي ، فأتاح لنفسه بذلك امكانية حضور جلسات محاكمة راسكولنيكوف ، ورؤية أفدونيا رومانوفنا كلما أتاحت له الظروف . كان مرض بولشيري ألكسندروفنا يرجع الى تأثر أعصابها تأثرا غريبا يرافقه خلل في الدماغ لم يظهر بشكل كلي ، لكنه كان موجودا جزئيا بالفعل . وكانت دونيا، عندما عادت الى مسكنها بعد آخر لقاء مع أخيها ، قد وجدت أمها فريسة الحمى والهذيان فاستطاعت ذلك المساء أن تتواطأ مع رازوميخين وتتفاهم معه حول الأجوبة الواجب تقديمها ردا على أسئلة الأم ، عندما ستأخذ

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هذه بالاستفسار عن ابنها. اختلقا قصة طويلة قالا فيها ان راسكولنيكوف سافر بعيدا الى الحدود الروسية ، حيث أرسل بمهمة خاصة تعود عليه بالمال الوفير والشهرة الذائعة . لكن دهشتهما بلغت حد الذهول عندما وجدوا أن بولشيري ألكسندروفنا لم تتقدم لا في ذلك الحين ولا بعد ذلك أبدا بأي سؤال عن راسكولنيكوف . بل على العكس . لقد صور لها تفكيرها قصة كاملة تفسر سبب ذهاب ابنها المفاجيء . كانت تروي باكية وقائع زيارته الاخيرة أحيانا بأنها ملمة بعدد من الظروف الخطيرة جدا والسرية جدا ، وأن روديا نظرا لكثرة أعدائه المتنفذين اضطر الى الاختفاء . أما فيما يتعلق بمستقبل ابنها فانها ما كانت تشك في أنه سيكون لامعا جدا حالما تزول بعض الاسباب العدائية التي تقوم حائلا دونه والمجد في الوقت الحاضر . كانت تؤكد لرازوميخين أن ابنها سيصبح في يوم ما رجلا بارزا من رجال الدولة ، والدليل على ذلك المقال الذي كتبه ، والأسلوب الادبي الرائع الذي سبكه فيه . كانت تقرأ ذلك المقال باستمرار ، بل وكانت تقرأه أحيانا بصوت مرتفع، حتى لكأنها تنام والمقال بين يديها . مع ذلك فانها لم تسأل أبدا أين يمكن أن يكون روديا . خشي رازوميخين أن يثير سكوتهما عن بحث موضوع راسكولنيكوف سحابة شك في نفس أمه . لكنهما ما لبثا أن راحا فريسة ذعر وقلق عندما حاولا تفسير أسباب سكوت بولشيري ألكسندروفنا . كانت لا تشكو عدم ارساله أخبارا عنه اليها ، رغم أنها كانت من قبل ، عندما كانت في مدينتها الصغيرة ، لا تستطيع الحياة الا على أمل وصول رسالة من حبيبها روديا ، رسالة كانت تترقب ورودها بلهفة وشوق . أما سكوتها الاخير فلم تستطع دونيا تفسيره . لذلك ازداد قلقها . خمنت أن أمها شاعرة بالبلاء المخيف الذي وقع لابنها، وأنها كانت تخشى استجوابهما خيفة أن يحملا اليها أخبارا أشد سوءاً. على كل حال كانت دونيا تشعر بأن أمها لم تعد مالكة كل قواها العقلية.

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مع ذلك فقد حدث مرتين أن أثارت بولشيري ألكسندروفنا حديثا كان يستحيل على دونيا الدخول فيه دون أن تعين مكان وجود روديا في الوقت الحاضر ، فلما أصبحت الأجوبة مشبوهة وغامضة نظرا لوجوب اخفاء الحقيقة عنها ، سقطت المسكينة فريسة حزن عميق. اقتنعت دونيا أخيرا بأنه يستحيل الاستمرار على التلفيق والكذب، واعتقدت أنه من الأصول التسلح بالسكوت المطبق حول نقاط معينة. لكنه بدا واضحا جدا يفقأ العين أن الأم المسكينة أصبحت تشك شكا قويا ، وتتوقع أمرا مروعا . تذكرت دونيا تنفا من حديث أخيها: لقد قال لها أن أمها سمعتها تتحدث في حلمها أثناء تلك الليلة التي أعقبها اليوم الحاسم ، وكان ذلك في لقائهما الاخير بعد الحادث الذي وقع لها مع سفيدريكايلوف . فهل يجوز أن تكون أمها سمعت شيئا معينا ؟ كانت المريضة تسقط أحيانا في لون من الانفعال العصبي ، فتتحدث بصوت مرتفع عن ابنها ، حديثا مطولا تصفه فيه بأنه أملها الوحيد ، وأنه أقصى ما تتمناه في الوجود . وقد وقع لها حالات مشابهة لتلك الحالة بعد أيام وأسابيع عديدة من صمت ثقيل ودموع مكتومة. كان خيالها ينقلب أحيانا الى لون من الوهم ، فكانوا يعزونها وكانوا يجارونها في الحديث. كانت ـ هي ـ شاعرة بأن حديثهم ليس الا لونا من العزاء والمسايرة ، مع ذلك فانها كانت تستمر في الحديث ...

بعد مرور خمسة أشهر على اعتراف راسكولنيكوف بجرمه، لفظت المحكمة حكمها . وكان رازوميخين يزوره في سجنه على قدر ما كان يستطيع الزيارة ، وكذلك كان شأن سونيا . وأخيرا دقت ساعة الانفصال . أقسمت دونيا لأخيها أن ذلك الفراق لن يكون أبديا . وكذلك أقسم راروميخين . كان رازوميخين يغذي في دماغه الفتي المتقد فكرة عزم على تنفيذها ، وكانت تلك الفكرة تقضي بأن يجمع

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

خلال السنتين أو السنوات الثلاث المعقبة ما يستطيع جمعه وادخاره من المال ، حتى يتيسر له الهجرة مع دونيا وأمها الى سيبيريا ، حيث الارض غنية بكل شيء ، ولكنها في حاجة الى الايدي القوية ورؤوس الأموال. وقرر أن ينزلوا في تلك المدينة التي يكون فيها راسكولنيكوف .. و ... لسوف يبدؤون جميعا حياة جديدة .

بكوا جميعهم عند الفراق . كان راسكولنيكوف في أيامه الاخيرة منشغل الخاطر يتحدث كثيرا عن أمه ويبدي قلقا واضحا بسببها . كانت فكرته هذه شديدة التأصل في نفسه ، حتى أن دونيا شعرت بفزع شديد وخوف على مصير أخيها . فلما أنبيء بشكل لبق بمرض أمه ، تجهم وجهه وامتقع . لقد بدا قليل الاتصال بسونيا عازفا عنها بشكل مثير ، أما سونيا ، فقد كانت مستعدة منذ أمد طويل لتتبع موكب المساجين الذين سيكون راسكولنيكوف واحدا منهم . لقد أفادتها السندات الثلاثة التي منحها اياها سفيدريكايلوف . لكنها لم تلمح أبدا أمامه الى عزمها هذا ، رغم أن كليهما كانا واثقين من أن الأمر لن يكون الا كذلك . وفي لحظات الفراق الاخيرة ، ابتسم راسكولنيكوف ابتسامة غامضة ، وهو يصغي الى أقوال أخته وتكهنات رازوميخين الحماسية حول المستقبل والحياة الجديدة التي ستكون ممهدة له بعد خروجه من السجن . أحس سلفا بأن أمه ستموت قريبا . مع ذلك فقد سار مرغما في طريق المنفى تتبعه سونيا .

بعد شهرين من تاريخ ذهاب راسكولنيكوف الى منفاه تزوج رازوميخين من دونيا ، وكانت مراسم الزواج مكتومة حزينة . لم يكن بين المدعوين الا زوسيموف وبورفير بيتروفيتش ، وكان وجه رازوميخين قد انطبع في الايام الاخيرة بطابع من العزم المكين . كانت دونيا تؤمن ايمانا أعمى بأنه سيتوصل الى تنفيذ مشروعاته ، ولم يكن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لها الخيار في التفكير خلاف ذلك ، لأن ارادة حديدية كانت تتمثل في هذا الرجل • عاد الى متابعة دروسه في الجامعة بغية انهاء تحصيله ، وكانت دونيا لا تكف عن مساعدته في التمهيد وبحث خطط المستقبل• كان كلاهما يأملان الذهاب الى سيبريا بعد فترة أقصاها خمس سنين ، وبانتظار ذلك كانا يعتمدان على سونيا •

باركت بولشيري ألكسندروفنا زواج ابنتها من رازوميخين بسرور ، غير أنها لم تلبث بعد ذلك الزواج أن سقطت في حزن أعمق• ولكي يقدم لها رازوميخين تسلية مناسبة ترفه عن نفسها، راح يروي لها قصة ذلك الطالب الذي كان أبوه شديد الفقر متقدما في السن، ويشرح لها سلوك رروديا خلال الحريق الذي وقع والذي أصيب بسببه بحروق اضطر على أثرها الى ملازمة سريره • أشاد بمروءته التي لولاها لما أنقذ طفلان في سن الزهر من موت محقق• وجدت بولشيري ألكسندروفنا في تينك القصتين ما يبعث في نفسها الحماس ، فلم تعد تتحدث بشيء غيرهما • كانت توقف المارة في الشارع وتدخل معهم في حديث تذكر لهم فيه مزايا ابنها كلما استطاعت الافلات من رقابة دونيا • وكان هذا شأنها في الحافلة الكهربائية وفي الدكاكين وفي كل مكان ••• ولم تكن دونيا تجد الوسيلة المناسبة لمنعها عن الاسترسال في ذلك• لأنها الى جانب خوفها من اشتداد حالة مرض أمها العقلي ، كانت تخشى أن يذكر بعضهم الجريمة التي ترافق اسم راسكولنيكوف ، فيروي طرفا منها الى الأم • واستطاعت بولشيري ألكسندروفنا الحصول على عنوان أم الطفلين اللذين أنقذهما ابنها ، وألحت تريد الذهاب لزيارتهما • وأخيرا بلغ حزنها حدوده القصوى ، فكانت فجأة تنفجر منتحبة، وأصبحت شديدة المرض تهذي بتأثير الحمى • وذات صباح صرحت بتأكيد جازم أن روديا لن يتأخر عن المجيء بناء على حساب دقيق وتقدير صحيح • لأنها تذكر أنه أكد لها عند وداعه الاخير أنه سيعود بعد تسعه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أشهر • فراحت ترتب المسكن وتعد كل شيء لاستقبال ولدها البكر، وتهيء غرفتها ليحل فيها ، فتنفض الغبار، وتمسح الارض ، وتغسل الثياب ، وتعلق ستائر جديدة ، الخ ••• وعلى الرغم من أن دونيا كانت شديدة الاضطراب قلقة على أمها ، فانها راحت تساعدها في تهيئة الغرفة لاستقبال روديا • وبعد انقضاء نهار كامل في أشد التخيلات جنونا ، بين الاحلام المفرحة والدموع ، سقطت بولشيري ألكسندروفنا فريسة المرض فلم يطلع الصباح حتى كانت الحمى شديدة الوطء عليها، وكانت تهذي • ولم يمض يوما على ذلك حتى ماتت ••• ومن خلال هذيانها أفلتت بضع كلمات فهم منها أنها كانت تعرف عن مصير ابنها أضعاف ما كانت تعتقده ابنتها ويظنه صهرها •••

لم يبلغ راسكولنيكوف نبأ موت أمه الا بعد مضي زمن طويل ، رغم أن سونيا كانت منذ اليوم الاول لوصولها الى سيبيريا قد أقامت اتصالا وثيقا بطريق المراسلة بينها وبين بطرسبورغ • كانت سونيا تكتب مرة كل شهر الى بطرسبورغ بعنوان رازوميخين ، وتتلقى كذلك مرة كل شهر جوابا من تلك المدينة • بدت رسائلها في بادىء الامر جافة غير مرضية بالنسبة الى دونيا ورازوميخين ، لكنهما ما لبثا أن تأكدا من أن لا وسيلة أفضل من هذه ، وأنهما كانا بفضل تلك الرسائل يستطيعان التعرف على الدقائق وشروط العيش التي يعيش فيها ذلك الاخ التعس• كانت رسائل سونيا ضافية بالتفاصيل ، تصف بوضوح وبساطة طراز الحياة التي اندمج فيها راسكولنيكوف في منفاه • فلم تكن تتحدث بشيء عن آماله الشخصية وأحلامه للمستقبل أو عن عواطفها الخاصة• بل كانت تسعى الى ايضاح شعور روديا بصورة خاصة أكثر من اهتمامها بحياة السجين الشخصية • كانت تدلي بوقائع ، أي بكلمات فاه بها السجين حرفيا ، وبأخبار عن صحته وما طلبه منها خلال مقابلته لها وما يريد الحصول عليه • وعما كلفها بنقله اليهما وما يريد أن تأتيه به الخ••

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كانت هذه المعلومات مبينة بأدق التفاصيل، حتى أن صورة أخيها التعس كانت تتمثل أمامها بوضوح وجلاء ، لانها لم تكن تعرف عنها الا كل واقع صحيح •

لكن كل تلك الرسائل ما كانت في البداية لتعزي دونيا وزوجها• أنبأتهما سونيا بأنه كان أبدا واجما صامتا ، لا يهتم أبدا بالاخبار التي كانت لا تنفك تنقلها اليه اثر استلامها رسائل بطرسبورغ ، وروت لهما أنه يتحدث أحيانا عن أمه • وأنها عندما تأكدت من أنه خمن النهاية اضطرت الى اعلامه بموتها • لكنها دهشت دهشة بالغة حينما وجدت أن النبأ لم يحدث في نفسه أثرا كبيرا أو على الاقل لم يحدث أثرا ظاهرا • وأضافت أنه رغم ما يبدو عليه من انطواء على نفسه وضعف ، فانه كان متقبلا بكل بساطة حياته الجديدة ، فاهما موقفه ، غير آمل بأي تحسن قريب في مصيره ، لا يغذي أي أمل طائش ، كما هو حال المساجين غالبا • وأكدت انه لا يبدي أية دهشة رغم الظروف المختلفة كل الاختلاف عن تلك التي كان فيها من قبل • أما صحته ، فقالت سونيا انها ممتازة ، وانه كان يقوم بعمله المنوط به دون تردد ولا احتجاج ولا تبرم • غير أنه ما كان [illegible] لكن ذلك الطعام كان رديئا ما عدا أيام الآحاد والاعياد• وكان يتقبل بسرور نقودا من سونيا تساعده على تحضير الشاي لنفسه كل يوم • وقد رجاها أن تطلب اليهما عدم القلق من أجله مؤكدا بأن عنايتها به تزعجه أكثر مما تبهجه • وأردفت سونيا في رسالتها تقول : ان روديا في السجن يعيش حياة اشتراكية• صحيح أنها لم تشهد بأم عينها الأبنية من الداخل ، لكنها قدرت أن البناء ضيق قذر وغير صحي ، وأن روديا ينام على لوح من الخشب تكسوه قطعة من اللباد ويرفض تبديل ذلك السرير • بل انه يعيش حياة خشنة حقيرة ليس تنفيذا لخطة مسبقة ، بل اهمالا منه ولا مبالاة بمصيره من الناحية الحسية • وأكدت سونيا بوضوح أنه في بداية الأمر لم يكن

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عازفا عن زياراتها فحسب ، بل انه كان يبدي مزاجا سيئا نحوها، ويقابلها بصمت عميق بل وبغلظة. لكن تلك المقابلات ما لبثت أن أصبحت نوعا من عادة ، بل أشبه بضرورة . حتى أن السجين كان شديد الضيق والتبرم خلال الايام التي انقطعت عن زيارته فيها ، بسبب المرض الذي أصيبت به . وقالت انهما يلتقيان أيام الاعياد : فيقف كل منهما قريبا من الاخر ، يفصل بينهما حاجز يحرسه جنود . وانها كانت تلقاه أحيانا وراء ذلك الحاجز ، لبضع دقائق ، أو تشاهده عن بعد أثناء عمله، وعلى الطرق ، أو في ورشات العمل على طول نهر «ايرتيش» . وتتحدث سونيا عن نفسها فتقول بأنها استطاعت ايجاد معارف في المدينة والتماس حماية بعض الاشخاص ، وانها تشتغل في حياكة الثياب . ولما كانت المدينة خالية من صانعات الازياء ، فان وجودها فيها أصبح ضرورة لعدد من البيوت . لكنها لم تذكر أبدا أن راسكولنيكوف حاز على حماية مدير السجن بسببها وأن جرايته من الطعام والعمل قد تبدلت تبدلا ملموسا . وأخيرا وردت أخبار الى دونيا ـ وكانت هذه قد شعرت بشيء من الاضطراب والقلق في رسائل سونيا ـ تنبيء بأن راسكولنيكوف بات يتحاشى لقاء كل الناس وأن الموقوفين والمساجين في سجنه ما كانوا يحبونه لانه يقبع صامتا أياما متتالية وأن وجهه قد أضحى شديد الامتقاع . وفي رسالة سونيا الاخيرة كتبت هذه أن راسكولنيكوف كان مريضا جدا وأنه نقل الى مستشفى السجن للعناية به .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٢

كان مريضا ، مريضا منذ أمد • لكن ، لا أهوال حياة السجن ولا العمل الشاق ولا الطعام ولا الرأس الحليق ولا الثياب المتسخة كانت تستطيع النيل منه • لم يكن يعنيه شيء من تلك الآلام وذلك الشقاء ! على العكس ، كان مسرورا لأن العمل المرهق كان ينهكه جسديا ، فيتيح له بذلك بضع ساعات من نوم مريح • ثم ماذا كان من أمر الطعام ، ذلك الماء الساخن الذي كانت تسبح فيه الحشرات ! انه لما كان طالبا وفي أيامه الأولى ، كثيرا ما كان لا يتاح له خير منه • كانت ملابسه دافئة ومتناسبة تماما مع لون الحياة الجديدة • أما الأغلال التي كانت ترسف قدماه فيها ، فانه ما كان يحس بها • هل كان لمثله أن يخجل من رأسه الحليق ، وقبعته ذات القطعتين ؟ وممن يخجل ؟ أمن سونيا ؟ كانت سونيا تخاف منه فكيف يمكن أن يشعر بالارتباك أمامها ؟

ولكن مهما بلغ من تصرفه الأليم الخشن حيال سونيا فانه ولا شك يخجل منها • بيد أن ذلك الخجل لم يكن مبعثه رأسه الحليق ، أو الأغلال التي في قدميه ، بل كان بسبب كبريائه المجروح ، ذلك الكبرياء الكليم الذي كان يؤلمه • أوه ! كم كان يسعده أن يصدر على نفسه حكمه بنفسه ! كان يستطيع حينئذ احتمال كل شيء حتى الخزي والعار• لكنه كان يحكم على نفسه بقسوة • كان ضميره المتحجر لا يجد في ماضيه أية خطيئة مهولة ما عدا اخفاقه في «مشروعه» ، لكن الاخفاق أمر يحدث ويقع لكل الناس • كانت المذلة بالنسبة اليه هي أن يكون هو ــ راسكولنيكوف ــ قد أضاع نفسه دون تبصر ولا أمل بسخف وحماقة وبدسيسة من القدر الأعمى ، وأنه كان يجب عليه أن يخضع

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وينحني أمام « غباوة » تلك الحكمة اذا شاء أن يستعيد الهدوء .

لقد كان كل ما تبقى له على الأرض قلق دون سبب ولا هدف في الحاضر ، وتضحية أبدية في المستقبل ، مقضي عليها أن لا يكون من ورائها طائل . وأي فائدة يجنيها اذا همس لنفسه أنه لن يكون بعد ثماني سنوات الا في الثانية والثلاثين من عمره ، وأنه سيستطيع معاودة الحياة من جديد ! ما فائدة الحياة ؟ أي هدف سيدفعه الى التعلق بها ؟ وماذا سيفيد من النقل ؟ أن يبقى ليعيش ؟ لكنه كان أبدا مستعدا للتضحية ألف مرة بحياته مقابل فكرة أو أمل أو هوى . ان الحياة وحدها لمجرد الحياة كانت أبدا تافهة بالنسبة اليه . كان يطمح دائما بالمزيد . ولعله بسبب شدة رغباته قدر نفسه دائما بانه رجل ينبغي ان يكون له من الحقوق أكثر مما للآخرين .

ولو أن القدر أنعم عليه بتوبة ، توبة محرقة تحطم القلب وتطرد النوم ، توبة تجعله يحلم بالشنق والغرق ! أوه ، كم كان يحس بسعادة وسرور ! فالآلام والدموع هي أيضا لون من الحياة . لكنه ما كان يندم على جريمته .

كان على الأقل يستطيع أن يحنق وينفعل لحماقته . كما كان يسخط من قبل على تصرفاته المضحكة الشاذة التي اودت به الى السجن . لكنه بعد أن أصبح في السجن ، وبعد أن أصبح يستطيع التفكير « بكل حرية » في أعماله السابقة ، فانه لم يجدها شديدة الحمق ، شديدة الوحشية ، كما بدت له من قبل في اللحظة الحاسمة .

كان يهمس في سره : « اه ، بأي شيء كانت أفكاري تلك أكثر سخفا من الافكار والنظريات التي يصبح بها العالم وتصطدم في رحباته ، وذلك منذ أن وجد العالم ؟ يكفي أن يتأمل المرء من زاوية مستقلة تماما ، واسعة متحررة من النظريات السخيفة اليومية ، وعندئذ لن تبدو فكرتي

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

غريبة الى هذا الحد ... أيها الجاحدون ! أيها العقلاء ! لِمَ تتوقفون في نصف الطريق ؟ » .

ويتساءل : « ولكن كيف تبدو فعلتي لهم على كل تلك البشاعة؟ ألأنها جريمة ؟ ما معنى كلمة جريمة ؟ ان ضميري مرتاح . صحيح أنني قتلت، وصحيح أن ذلك يخالف حرفية القانون لأنني أهرقت دماء ولكن اذا شئتم احترام حرفية القانون ، خذوا رأسي ... ولنكف عن الحديث! صحيح أنه في مثل هذه الحالة يمكن أن يحكم بالعذاب والموت على عديد من المحسنين للانسانية الذين لم يتوارثوا السلطة بل اكتسبوها اكتسابا بأنفسهم منذ الخطوات الأولى ، لكن هؤلاء الرجال استمروا في طريقهم ، وهذا الاستمرار هو الذي برر أعمالهم . أما أنا فانني لم أستطع المقاومة ، وعلى ذلك فانه لم يكن من حقي أن أقرر تلك المحاولة » .

كان اذن يعترف بخطئه ، ولكنه يعتبر أن عدم مقاومته واستسلامه هما فقط الخطأ الذي وقع فيه .

ثم ان فكرة أخرى كانت تعذبه : لِمَ لم يضع حدا لحياته في ذلك الحين ؟ لم فضل الاستسلام من الالقاء بنفسه الى مياه النهر لما نظر اليها هادرة ؟ هل الرغبة في الحياة شديدة القوة يصعب التغلب عليها الى هذا الحد ؟ ان سفيدريكايلوف رغم شدة خوفه من الموت قد استطاع أن يقهر تلك الرغبة .

كان يعنف نفسه ويزعجها بالأسئلة ، كان لا يستطيع ان يتقبل شعوره عندما كان منحنيا على النهر ، بوجود خطأ عميق في معتقداته، لم يكن يفهم أن ذلك الشعور المسبق يمكن أن يكون مبشرا بأزمة مقبلة في حياته ، وببعثه المقبل ، وبالأسلوب الجديد الذي ينبغي له أن يتأمل الوجود به .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان مقتنعا بدلا من هذا بأن كل ما حدث لم يكن الا خبلا وتبلدا في الاحساس لم يستطع التحرر منهما بسبب ضعفه ونذالته • أحس بدهشة لرؤية رفاقه في السجن : كم كانوا يحبون الحياة ! كم كانوا شديدي التمسك بها ! يخيل اليه أنهم يحبونها ويقدرونها أكثر مما كانوا يعملون لو أنهم كانوا أحرارا • بل ان بعضهم كانوا يشعرون بعذاب شديد وعلى الاخص المتشردون منهم ! أيجوز أن هذا الخبر ، الحنين الى اشعاع شمس ، أو هدوء غابة ، أو غدير ماء صاف في أعماق دغل ، شوهد منذ ثلاثة أعوام مضت ؟ هل يحلم ذلك المتشرد بالعودة اليه ؛ وكأن الأمر موعد غرامي ثمين يغزو حلمه ، فيتمثله محاطا بالحشائش الخضراء بينما يزقزق عندليب على شجرة؟ كان راسكولنيكوف كلما ازداد تفكيرا في هذا بدا له صعب الفهم •

كان في سجنه عدد من الاشياء لم تستلفت انتباهه • لأنه ما كان يريد ملاحظتها • كان يعيش بعينين مخفضتين ــ اذا جاز هذا القول ــ عازفا عن النظر فيما حوله • لكن الزمن جعل تلك الاشياء تستحوذ على انتباهه ، فراح مرغما يلاحظ ما كان يشك في وجوده من قبل• كان ما يدهشه على العموم أكثر من سواه هو تلك الهوة السخيفة التي يمكن اجتيازها ، والتي تفصله عن هؤلاء الناس الذين يعيش بينهم • بدا بينهم وكأنه من أمة تختلف عن الأمة التي ينتمون اليها • كانوا ينظرون اليه بحذر وشراسة وكذلك كان شأنه • كان راسكولنيكوف يفهم ويقدر الاسباب العامة التي سببت ذلك النفور الودي ! لكنه ما كان يؤمن، حتى تلك اللحظة ، بأن تلك الاسباب يمكن أن تكون في مثل هذه القوة والعمق • كان في السجن محكومون بجرائم سياسية ، كانوا ينظرون الى الاخرين باحتقار ، ويعتبرونهم من الرعاع • غير أن راسكولنيكوف ما كان يستطيع مشاطرتهم رأيهم • كان يرى تماما أن اولئك الرعاع كانوا احيانا اشد ذكاء من البولونيين انفسهم • وكان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بين الروسيين من يحتقر هؤلاء الناس أيضا • والاخص بالذكر منهم ضابط سابق ، واثنان من طلاب الكهنوتية ، لكن راسكولنيكوف كان متأكدا كذلك من خطئهم •

أما هو فلم يكن محبوبا وكان الجميع يتحاشونه ، بل ان الأمر انتهى بهم الى مقته • لماذا ؟ لم يكن يدري السبب • كان بعضهم ، وهم أعرق منه اجراما ، يلاحقونه بسخريتهم ويهزؤون به جاعلين من جريمته مادة للسخرية والهزء •

كانوا يقولون له :

ــ ولكنك سيد ، فهل كان ينبغي لك أن تقتل بضربات فأس ؟ ان هذا ليس من أعمال السادة !

أما في الاسبوع الثاني من الصوم الكبير ، فقد جاء دوره في الصلاة والنسك • كان كل رفاق غرفته معه • فمضى معهم الى الكنيسة للصلاة • وذات يوم ، انفجرت مشادة عنيفة لم يدر لها سببا • توافدوا عليه محنقين ، صاحوا :

ــ انك جاحد ! انك لا تؤمن بالله • ينبغي قتلك •

لم يكن قد تحدث معهم أبدا عن الله أو الدين مع ذلك فقد أرادوا قتله على اعتباره زنديقا فلم يرد عليهم • وفي تلك اللحظة اندفع نحوه أحد المحكومين، تتأجج في نفسه عوامل السخط، فانتظره راسكولنيكوف هادئا صامتا دون أن تختلج عضلة واحدة في رأسه •

استطاع الحارس التدخل بينه وبين القاتل في آخر لحظة ولو أنه تأخر ثانية واحدة لسال الدم •

ثم كانت هناك مسألة أخرى تعذر عليه حلها : لم كانوا جميعهم يحبون سونيا حبا جما ؟ انها لم تكن تسعى لارضائهم ، وما كانوا يقابلونها الا خلال فرص نادرة ، عندما كانت تأتي لرؤياه دقيقة عابرة خلال انكبابه معهم على العمل • مع ذلك ، فقد كانوا جميعهم يعرفونها، ويعرفون أنها تبعته الى هنا : يعرفون كيف كانت تعيش وأين تعيش ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مع أنها لم تكن تعطيهم نقودا ، ولم تكن تؤدي لهم خدمات خاصة . مرة واحدة فقط ، وكان ذلك في عيد الميلاد ، قدمت سونيا الى كل المساجين قطع الحلوى والمعجنات الصغيرة . غير أنهم لم يلبثوا أن أقاموا علاقات ازدادت وثوقا بينهم وبينها فكانت تكتب لهم رسائل لاسرهم ، وتودعها البريد . فاذا ما جاء ذووهم الى المدينة ، فانهم كانوا بناء على رغبتهم وتوصياتهم يودعون سونيا الاشياء والنقود التي يودون ارسالها اليهم في سجنهم . كانت زوجات المساجين وعشيقاتهم يعرفنها ويذهبن الى مسكنها لزيارتها . فاذا ظهرت على الطريق ، أو هي آتية لرؤية راسكولنيكوف ، أو مر بها فريق من المحكومين الذاهبين الى العمل ، فانهم كانوا يرفعون قبعاتهم جميعا ، وينحنون لها قائلين : « ماتوشكا ، صوفي سيميونوفنا ، انك أمنا الحنون الرؤوم » . كذلك كانوا يهتفون كلما التقوا بتلك المخلوقة الهزيلة النحيلة ، رغم أنهم وحوش مطبوعون بطابع الجريمة والعار . فكانت تبسم لهم وترد على تحياتهم . وكانوا جميعا يحبون تلك الابتسامة . بل كانوا يحبون مشيتها ويستديرون غالبا ليتابعوها بأبصارهم اذا مرت بهم . لم يكن لديهم لها الا المديح . كانوا يمتدحونها حتى لأنها صغيرة ، وكانوا يحارون في ايجاد عبارات الاطراء . حتى أنه بلغ بهم الشغف بها أن كانوا يستشيرونها في حالة مرضهم .

أمضى راسكولنيكوف الاسابيع الاخيرة من الصوم الكبير وأسبوع عيد الفصح في المستشفى . فلما استرد صحته تذكر الأحلام التي ما انفكت تتمثل له خلال مرضه ابان اشتداد الحمى والهذيان . حلم خلال مرضه بأن العالم كله كان محكوما عليه باحتمال مصيبة فظيعة لم يسبق لها مثيل ، مصيبة جاءت من أعماق آسيا تطبق على أوروبا ، وأن العالم كله سوف يموت الا عددا من المجدودين المنعم عليهم . كان ذلك البلاء ممثلا في صورة طفيليات من نوع جديد ، أحياء ميكروسكوبية

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تقطن في جسد الانسان فتنخره • لكن تلك الميكروبات الصغيرة الدقيقة كانت موهوبة بذكاء وارادة وعقل • كان الاشخاص الذين يصابون بها يصبحون مجانين خطيرين على الفور • لكن أحدا ما كان أبدا يعتقد أنه حاصل على الحقيقة ، مؤمن بها ، كما كان يعتقد أولئك المصابون ويؤمنون ! كانوا لا يشكون لحظة في صدق أحكامهم واستنتاجاتهم العلمية ، ومبادئهم الاخلاقية والدينية • كانت قرى بكاملها ومدن وامم كاملة مصابة بهذا البلاء تفقد صوابها • كانوا جميعهم في فزع ورعب هائلين لا يفهم بعضهم بعضا • كان كل منهم يعتقد أنه وحده يملك الحقيقة ويستطيع تبيان الخير من الشر ، فما كان يتعرف من هو المخطيء ومن هو المصيب • كان الناس يذبح بعضهم بعضا تحت تأثير غضب وحشي ، ويجتمعون ليشكلوا جيوشا كبيرة • ولكن ما أن تلتقي تلك الجيوش ، حتى تعم الفوضى الصفوف فتتمزق ، ويرتمي الجنود على بعضهم ، يذبحون بعضهم بعضا ، ويفترسون أجساد بعضهم ، وينهشون فيها • أما في المدن فكانوا يقرعون أجراس النفير ، فيدعى الشعب • ولكن من قبل من ؟ ولأي سبب ؟ ما كان أحد ليعرف السبب • فكان العالم كله في حركة وصخب • كانوا يهجرون الحرف البسيطة منها والضرورية ، لأن كلا منهم كان مشغولا في عرض أفكاره وآرائه • لكنهم ما كانوا يتوصلون الى اتفاق • كانت الزراعة قد أصبحت مهملة ، وهنا وهناك كان الناس يجتمعون ويتفقون على حركة مشتركة ، فيقسمون أن لا يفترقوا • ولكن حالما يبدؤون بعمل ما ، مهما بلغ اختلافه عما توقعوه ، كانوا يتبادلون التهم ، ويتشاربون ويتذابحون • كانت الحرائق تلتهم الابنية والدور • فعمت المجاعة ، ومات كل الناس ، وأفني كل شيء • أما البلاء فقد كان يعم ويتزايد • ما كان يمكن أن ينقذ في العالم كله الا عدد من الأتقياء الطاهرين الموعودين ، المقدر لهم تأسيس حياة جديدة ، وتجديد الارض وتطهيرها • لكن أحدا ما كان ليهتم بهؤلاء

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الرجال • لم يكن أحد ليصغي الى أقوالهم ، أو يسمع أصواتهم •

كان راسكولنيكوف يتعذب كلما خطر لـه أن ذلـك الهذيـان السخيف قد ترك في نفسه تلك الآثار العميقة التي لا تمحى • وكان الاسبوع الثالث بعد عيد الفصح قد ازف ، واصبحت الايام تمتـاز بالحرارة والنور ، وتحمل رائحة الربيع • فتحت نوافذ المستشفى لأول مرة، وكانت نوافذ مشبكة بعوارض حديدية يغدو أحد الحراس ويروح قريبا منها • لم يسمح لسونيا أن تزور راسكولنيكوف الا مرتين طيلة مدة مرضه • وفي كل مرة كان عليها أن تطـلب الاذن ، وأن تخضـع لشكليات معقدة • غير أنها كانت تحضر غالبا فتقف في باحة المستشفى، تحت النوافذ وبصورة خاصة عندما يهبط الظلام ، فكانت تقف هناك، دقيقة أو أكثر ، لا لشيء الا لتنظر الى النوافذ المغلقة • وذات مسـاء كان راسكولنيكوف نائما بعد أن استعاد قواه تماما • فلما استفـاق ، اقترب صدفة من النافذة • وفجأة شاهد هناك بالقرب من باب المستشفى سونيا واقفة تحدق • كانت واقفة تبدو كأنها بانتظار شيء ما • فـأحس كأن سهما يخترق قلبه ، وارتعش مرتعدا ، وانسحب من النافذة • وفي اليوم الثاني لم تأت سونيا • وكذلك في اليـوم الثـالث • أدرك أنـه ينتظرها بفارغ صبر • فلما أخرج من المستشفى وأعيد الى السجن بلغه أن سونيا مريضة وأنها ملازمة غرفتها •

أحس بحزن عميق وأرسل من يأتيه بأخبارها • ولم يلبث أن عرف أن مرضها غير ذي بال • كانت سونيا من جانبها ، عندما بلغها أنه يتـألم لانقطاعه عن رؤيتها ، قد أخذت تقلق لحالته • فأرسلت اليـه رسـالة خطتها بقلم الرصاص ، أخبرته فيها بأن صحتها جيدة ، وأنها كانت قد أصيبت ببرد قليل • لكنها ستعود الى لقائه أثناء العمل في أقرب وقت ممكن • ولما قرأ راسكولنيكوف تلك الرسالة أحس بقلبه يخفق خفقانا عنيفا أليما •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان النهار هذه المرة أيضا صحوا دافئا • فمضى منذ الساعة السادسة صباحا الى ضفة النهر ليبدأ بالعمل • وكان على ضفة النهر أتون كبير مخصص لشي المرمر الأبيض • أرسل الى هناك مع اثنين من المحكومين ، وعاد واحد من السجينين مع المراقب الى القلعة لاحضار بعض العدد ، بينما راح الثاني يهيء الاخشاب لاشعال الفرن • فغادر راسكولنيكوف مكانه ، واتجه نحو شاطيء النهر • جلس على لوح من الخشب قرب الجدار ، وراح يتأمل النهر العريض القاحل • كان يمكن للمرء أن يرى من ذلك الشاطيء المرتفع مساحة واسعة • بلغت مسامعه أغان ينشدها بعضهم على الشاطيء الاخر • فكانت تصل اليه عبر النهر خافتة هامسة • وكان هناك في اللانهايه تلال ومرتفعات صغيرة ، تغمرها الشمس • وخيام رحّل تشكل نقاطا صغيرة سوداء • هناك كانت الحرية • هناك يعيش عالم مختلف عن هذا العالم • هناك يبدو الزمن متوقفا كما لو كان لا زال العالم في عصر ابراهيم وقطعانه • جلس راسكولنيكوف ينظر دون حراك وهو لا يستطيع نقل أبصاره وتحويلها عن هناك • وتسللت افكاره الى الخيال والتأمل • فلم يكن يحلم في شيء • لكن حزنا عميقا كان يكتسحه ويعذبه ويروعه • وفجأة انتصبت سونيا أمامه • كانت قد اقتربت بهدوء وجلست الى جانبه • وكانت تلك الساعة الصباحية شديدة البرودة، لان الشمس لم تكن قد ارتفت كثيرا في السماء • كانت سونيا تلبس « برنسا » عتيقا باليا ، وتلتفح بمنديلها الاخضر • بدت أكثر هزالاً وأكثر امتقاعا ، وكان وجهها ذا التقاطيع المتقلصة يحمل آثار المرض • ابتسمت له ابتسامة وديعة سعيدة، لكنها مدت له يدها برعب على جري عادتها •

كانت دائما تمد له يدها بذعر ، وأحيانا كانت لا تمدها مطلقا، وكأنها تخاف أن ينفر منها ويطردها • كان يبدو دائما على شيء من

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الاحتقار كلما أخذ يدها • حتى ليظن أنه كان يستقبلها بشيء كثير من التقزز والانزعاج • وكان أحيانا يصمد بعناد طيلة الوقت الذي تستغرقه زيارتها • فكانت ترتعد أمامه وتنسحب وهي تشعر بخزي عميق • لكن أيديهما تلك المرة ما كانت تحاول انفكاكا • راح يشمل الفتاة بنظرة عميقة دون ان ينبس ببنت شفة • وفجأة اطرق برأسه الى الارض • كانا وحيدين لا يراهما أحد والحارس المكلف مبتعد في تلك اللحظة •

وفجأة ودون أن يعرف راسكولنيكوف ماذا عمل ، شعر بشيء يدفعه نحو أقدام سونيا ، فبكى وهو يضم ركبتيها بيديه • بدت للوهلة الاولى شديدة الارتياح ، وسرى في وجهها شحوب قاتل ، فانتفضت وراحت تنظر اليه مرتعدة مضطربة • ولكن في تلك اللحظة بالذات، وفي مثل لمح البصر ، فهمت كل شيء • فأشرقت عيناها بسعادة غامرة• لقد فهمت وما عادت تشك في أنه يحبها ، يحبها حبا عنيفا ، وأن ساعة الاعترافات قد دقت مدوية •••

أرادا أن يتحدثا فأعياهما النطق ، وامتلأت أعينهما بالدموع• كان كل منهما شاحبا مضطربا ممتقعا • غير أن وجهيهما الهضيمين كانا يعكسان أضواء فجر ينبيء بمستقبل جديد ، فجر يبشر ببعث جديد في الحياة • كان الحب قد خلقهما ونفحهما الحياة • كان قلب احدهما يضم معينا لا ينضب من الحياة ينهل منه قلب الاخر •

قررا الانتظار ، والانتظار بصبر • كان قد تبقى لهما سبع سنين يقضيانها في سيبيريا • ولكن كم من آلام لا تحتمل ستعقبها سعادة لا توصف ! كان قد بعث بعثا جديدا • كان يشعر ويحس أنه قد نشر من جديد • أما سونيا ، ألم تكن سونيا تعيش ليحيا راسكولنيكوف ؟

ذلك المساء لما أغلق باب « العنبر » ، استلقى راسكولنيكوف في مكانه وراح يفكر فيها • خيل اليه ذلك اليوم أن المساجين ، أعداءه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بالأمس ، قد نظروا اليه اليوم نظرة مختلفة • بل انه وجه اليهم الكلام، فأجابوه بلطف ودعة • تذكر هذه البادرة ولكنه وجد أنها طبيعية • ألم يكن كل شيء ينبىء ببادرة تحول وتبدل ؟

راح يفكر في سونيا • تذكر ، وهو الذي ما انفك يؤلمها ويجرح قلبها ، تذكر وجهها الصغير المتقع الهزيل• لكن تلك الذكريات، لم تعد تؤلمه كما كانت من قبل • كان يعرف بأي حب عميق جارف سوف يشتري الآن كل آلامه •

ثم ما هي « كل » تلك الآلام الماضية ؟ خيل اليه في تلك اللحظة أن كل شيء ، حتى جريمته ، والحكم الصادر في حقه ، وتهيه الى سيبيريا ، كل ذلك كان في تلك اللحظة من الانشراح والتمجيد ليس الا حادثا غريبا ، وقع لرجل سواه • كان ذلك المساء عاجزا عن التفكير الطويل المستمر ، عاجزا عن تركيز أفكاره في نقطة ما • ما كان يستطيع حل مسألة ومعرفة مسبباتها لأنه كان كتلة من الاحساسات• والحياة كلها بدت قائمة على المنطق • كان شيء مختلف تماما ، ينضج في أعماق وجدانه •

كان تحت وسادته انجيل امتدت اليه يده وأخذته بحركة آلية ، كان ذلك الكتاب يخص سونيا ، انه الكتاب « اياه » ، الذي قرأت له فيه من قبل قصة بعث اليعازر • كان يظن أول أمره في سجنه أن سونيا ستدوخه بتدينها • وكان ينتظر منها أن لا تنفك تحدثه عن الانجيل وتقلقه بهذا الكتاب • لكنه وجد ، لشديد دهشته ، أنها لم تحدثه مرة في هذا الموضوع ، ولم تعرض عليه أيضا تصفح الانجيل • بل انه هو الذي سألها بعد مرضه أن تأتيه به • ولما جاءته به قدمته اليه دون أن تنطق بكلمة • وحتى تلك اللحظة ، لم يكن قد فتحه بعد •

كذلك الآن لم يفتحه • غير أن فكرة اخترقت دهنه كشهاب من

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

نور : « أيجوز أن لا تكون معتقداتها في الوقت الحاضر معتقداتي الشخصية ؟ على الاقل ايحاءاتها ، عواطفها ... »

هي الأخرى كانت شديدة الاضطراب طيلة ذلك اليوم . بل ان المرض عاودها ليلا . لكنها كانت شديده السعادة . حتى أن سعادتها كانت تخيفها ! سبع سنين فقط ، سبع سنين ! في بعد اللحظات كان أحدهما كالآخر ، يعتقد بدافع شعور سعادتهما الاولى ، أن السبع سنين ليست الا سبعة أيام ! كان راسكولنيكوف يجهل أنه لن يحصل على تلك الحياة الجديدة دون لقاء ، وأن عليه أن يدفع ثمنها غالبا، وأن يحصل عليها لقاء مجهودات قاسية طويلة ...

ولكن هنا تبدأ قصة أخرى : قصة تجدد رجل وتطوره ، قصة انبعاثه المطرد ، ومروره التدريجي من عالم الى آخر ، وتساميه الى حقيقة جديدة لبثت حتى تلك اللحظة مجهولة منه . ان ذلك يصلح لان يكون موضوع قصة جديدة ، أما قصتنا هذه فها هي ذي قد انتهت.

ـ تمت ـ

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

في المسكن ويدهنونه ؟ على العكس . كنت لا تعترف برؤية شيء حتى ولو كنت قد رأيت ، اذ من الذي يشهد ضد نفسه ؟

فقال راسكولنيكوف الذي كان يتابع تلك المحادثة باشمئزاز واضح :

ـ لو أنني عملت «هذا» لكنت قلت حتما بأنني شاهدت العمال والمسكن .

ـ ذلك لأن أبناء الشعب وحدهم أو على الاصح المبتدئين تماما المحرومين من كل تجربه هم أولاء الذين ينكرون دراكا عندما يسألون . أما الرجل الذكي المتدبر فانه لا يتأخر عن الاعتراف ـ ضمن حدود الممكن ـ بكل الوقائع المادية التي لا يمكن ازاحتها . غير أنه يفسر تلك الوقائع بشكل ما ويرتبها حسب هواه ثم يعطيها معنى غير منتظر ويقدمها تحت ضوء جديد . وقد كان بورفير ينتظر تماما أن أسقط في الشرك وأن أجيب بأنني شاهدت العاملين بقصد اعطاء أفوالي لونا من الحقيقة ، وأن أرضى عن نفسي بالتفسير الذي أكون قد أعطيته .

ـ لكنه كان سيجيبك فورا بأن العاملين لم يكونا موجودين في اليوم الاسبق ، وانك على هذا الاساس ذهبت الى هناك في يوم الجريمة تماما ولكان سيوقفك فورا .

ـ انه كان يعتمد على أنني لن أجد فسحة من الوقت للتفكير ، واذن علي أن أتهافت على اعطاء جواب يبدو قريبا الى الحقيقة . كذلك كان ينتظر أن أكون قد نسيت بأن العمال ما كانوا هناك في اليوم الاسبق .

ـ لكن كيف يمكن النسيان ؟

ـ على أسهل وجه ... في الواقع ان الأشخاص الأذكياء يسقطون رغم ذكائهم بسبب تفاصيل تافهة كهذه ، اذ أن المرء كلما ازداد مكرا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

زاد اعتقاده بأنه لا يمكن لسؤال تافه بسيط أن يسبب سقوطه • ان بورفير ليس غبيا كما تظن •

ــ لعمري ! اذا كان قد تعمد ذلك فانه يكون خبيثا •

لم يتمالك راسكولنيكوف نفسه من الابتسام ، وبدا سروره من تقديم ذلك التفسير واقباله عليه غريبين في تلك اللحظة وهو الذي كان منذ قليل يشعر باشمئزاز شديد من تلك المحادثة ، فعزا ذلك الشعور الى الغاية التي كان يهدف اليها في تلك اللحظة • وراح يسائل نفسه : « هل تذوقت فعلا بعضا من هذه الاسئلة ؟ » • ولم يلبث أن شعر فجأة بقلق وكأن فكرة غير منتظرة ، فكرة مقلقة ، بدأت تراوده فراح قلقه يتزايد •

كان في تلك اللحظة قد بلغ منزل باكلييف فقال فجأة لصديقه :

ــ أدخل أنت وسأعود أنا بعد قليل •

ــ الى أين تمضي ؟ ها قد وصلنا !

ــ لدي ما أعمله وانه لواجب • ولسوف أعود في غضون نصف ساعة • أخبرهم بذلك •

ــ افعل ما تشاء ! لكنني سأصحبك •

فهتف راسكولنيكوف بصوت منفعل مفعم بالمرارة :

ــ ماذا ؟ أتريد أنت أيضا أن تعذبني ؟

وأشفع قوله هذا بنظرة يائسة جعلت ذراعي رازوميخين اللذين كان قد رفعهما للامساك به يسقطان الى جانبه • ولبث لحظات واقفا أمام مدخل الباب ينظر الى راسكولنيكوف الذي كان يمشي بخطى حثيثة باتجاه الشارع الذي يقطن فيه •

راح رازوميخين يصرف على أسنانه ويقبض يديه بعنف وقوة ويقسم في سره ليعتصرن بورفير كما يعصر الليمون ، ثم صعد الى حيث

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بولشيري ألكسندروفنا ـ التي كانت قد بدأت تقلق لغيابهما ـ ليطمئنها .

بلغ راسكولنيكوف منزله وقد غمر العرق صدغيه وهو يتنفس بصعوبة فصعد السلم مسرعا ودخل غرفته ثم أغلق بابها من الداخل بالمزلاج . وهرع بحركات مروعة الى الزاوية التي كانت سجادة الجدار تخفي الثغرة الكامنة وراءها والتي كان قد أودع فيها « الاشياء » من قبل فدفع يده فيها وراح خلال عدة دقائق يبحث فيها بعناية فائقة وينظر بين الشقوق وخلال كل الثنيات . فلما لم يجد شيئا ، نهض مطمئنا . تصور منذ حين حينما بلغ منزل باكالييف ، أن أي شيء كقطعة سلسلة أو زر أو الورقة التي كانت تلك الاشياء ملفوفة فيها والتي كانت تحمل تأشيرات مكتوبة بخط يد العجوز ، أي شيء من هذا القبيل يمكن أن يكون قد سقط منه أو تخلف في الثغرة كان يشكل ـ اذا وجد خلال التفتيش المرتقب ـ دليلا جرميا يدينه بما لا سبيل الى التملص منه، فلما اطمأن الى خلو المكان منها ، استغرق في لون من الشرود ولرتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة مذعورة وغير ارادية . وأخيرا حمل قبعته وغادر الغرفة .

كانت الافكار تتزاحم في رأسه وتصطخب وهكذا راح يهبط السلم ساهما حتى بلغ الباب العمومي . فسمع صوتا خشنا يقول :

ـ خذ ! ها هو ذا !

فرفع رأسه مستطلعا : كان البواب واقفا امام كوخه يشير الى رجل قصير القامة يبدو عليه انه صانع متواضع . كان يلبس ثوبا يشبه « الرودنكوت » وصدارة فيخيل للناظر اليه عن بعد انه قروي . وكان يضع على رأسه قبعة قذرة ويمشي محني الظهر قليلا حتى لكأنه كان احدب . ومن النظر الى وجهه المجعد النحيل ، يبدو

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

انه تجاوز الخمسين . كانت عيناه غائرتين في محجريهما فيهما شيء من القسوة والشراسة والاستياء .

اقترب راسكولنيكوف من البواب ، وسأل :

ـ ماذا هناك ؟

فالقى عليه الرجل القصير نظرة من الاسفل وراح يتأمله بعناية وتمهل ثم ادار له ظهره ببطء وابتعد دون ان ينطق بحرف واحد وبلغ الشارع .

هتف راسكولنيكوف :

ـ ما هذا ؟ ماذا هناك ؟

فاجاب الحارس :

ـ هذا شخص جاء يسألني عما اذا كان طالب ما يقطن في هذا البناء ، ولقد نطق باسمك وسأل عن اسم صاحبة مسكنك وعندئذ هبطت انت ، فذهب هو ، وانت ترى كيف كان ذهابه !

دهش البواب قليلا لتصرف الرجل ولبث برهة يفكر ثم استدار هو الاخر ودخل كوخه ، اما راسكولنيكوف فقد اندفع في اثر الرجل فاذا به يمشي في الجانب الاخر من الشارع بخطى متزنة بطيئة بادي التفكير وقد تعلقت نظراته بالارض . فتبعه وراح خلال بعض الوقت يتأثر خطاه واخيراً حاذاه ونظر الى وجهه نظرة جانبية ولحظه الاخر فورا فالقى عليه نظرة سريعة ثم عاد الى اطراقه . مشيا هكذا جنبا الى جنب طيلة دقيقة كاملة دون ان ينطقا بكلمة واحدة واخيرا غمغم راسكولنيكوف بصوت مكتوم :

ـ لقد سألت عني لدى البواب .

فلم يجب الرجل حتى ولم ينظر اليه وران الصمت من جديد ، فاختنق صوت راسكولنيكوف ووجد صعوبة في اخراج الكلمات

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وهو يقول :

ــ غريب ! لقد جئت تسأل عني ثم اذا بك تصمت • فما معنى هذا ؟

رفع الرجل رأسه هذه المرة وحدج راسكولنيكوف بنظرة عدائية متوحشة وتمتم بصوت منخفض واضح بين المخارج :

ــ قاتــل ! •••

كان راسكولنيكوف يمشي الى جانب الرجل القصير فشعر فجــأة بساقيه تتخاذلان تخاذلا مريعا واحس ببرودة تسري في ظهره • وتوقف قلبه عن الخفقان لحظة وكأنه انتزع دفعة واحدة • غير انه استمر في سيره جنبا الى جنب مع ذلك الرجل يخيم عليهما الصمت • قطعــا كذلك حوالي مائة خطوة لم ينظر الرجل خلالها اليه ، واخيرا غمغــم راسكولنيكوف بصوت لا يكاد يسمع :

ــ لكن ! ماذا تقول ؟ ماذا ؟ من هو القاتل ؟

فاجاب الاخر بصوت واضح وبلهجة اعنف من الاولى :

ــ انت القاتــل !

وومضت على وجهه ابتسامة تفيض بحقد منتصر ثم نظر الى وجهه الشاحب وعينيه المتبلورتين نظرة ثابتة • كانا قد بلغا ملتقى طرق فسار الرجل في واحد منها دون ان ينظر حوله بينما لبث راسكولنيكــوف مسمرا في مكانه يتابعه بعينيه فترة طويلة • فرآه يلتفت وراءه بعــد خمسين خطوة لينظر اليه بينما ظل هو في مكانه جامدا لا يتحرك •

لم يكن راسكولنيكوف في وضع يسمح له بتمييز الاشياء بوضوح لكنه خيل اليه للحظة الثانية ان ذلك الغريب قد التفت من جديد ونظر اليه وابتسامته الباردة الحاقدة المنتصرة •

عاد راسكولنيكوف ادراجه بخطى بطيئة متعثرة متخاذل الساقــين مرتعدا من الرعب • ولما بلغ مسكنه القى بقبعته على المائدة ولبث واقفا

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بجانبها زهاء عشر دقائق . واخيرا مضى الى السرير خائر القوى واستلقى عليه وهو يرسل زمجرة أليمة ، فاغمض عينيه ولبث مستغرقا في خواطره نصف ساعة كاملة .

لم يكن يفكر في شيء باستثناء بعض الخواطر ، أو على الاصح تلف الخواطر التي كانت تعرض له دون ترتيب ولا تسلسل . وجوه اشخاص كان قد رآهم في طفولته أو لقيهم في مكان ما مرة واحدة فلم تعد تخطر له بعدها على بال ، قبة جرس كنيسة « ب » .. منضدة « بليار » في مشرب وبالقرب منها ضابط ما .. رائحة سيكار في دكان تبغ في قبو ... سلم حانة ، سلم مظلم جدا تجري المياه الآسنة عليه ، وقد انتشرت في ارجائه قشور البيض بينما ارتفع من هناك قرع اجراس ربانية ...

كانت هذه الاشياء تتعاقب في مخيلته كالاعصار العنيف ، فكان بعضها محببا الى نفسه يتمسك به لكنه كان سرعان ما يتبخر . وعلى العموم كان في دخيلته شيء يثقل عليه ثقلا غير شديد . وكان يحس احيانا بشيء من الراحة ، ولم تكن القشعريرة التي اكتسحت جسمه قد غادرته بعد . لكنها لم تعد بالنسبة اليه شيئا مزعجا .

سمع خطوات رازوميخين المتلاحقة فاغمض عينيه وتصنع الاغفاء . وفتح رازوميخين الباب وظل واقفا لحظة على العتبة ثم دخل بهدوء الى الغرفة واقترب بحذر من الديوان . وتناهى الى سمعه همس ناستاسيا وهي تقول :

ـ لا تزعجه . دعه ينم ملء عينيه ولسوف يأكل فيما بعد .

وصوت رازوميخين يجيب :

ـ صحيح !

ثم خرجا بهدوء وأغلقا الباب . ومرت على ذلك نصف ساعة اخرى

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فتح راسكولنيكوف عينيه بعدها وعاد يستلقي على ظهره من جديد، عاقداً يديه تحت رأسه :

« من يكون ؟ من هو ذلك الرجل الذي انبعث من تحت الارض ؟ اين كان وماذ رأى ؟ لقد رأى كل شيء ما في ذلك شك ! اين كان اذن آنئذ ومن أين كان يراقب؟ لم لم يظهر على مسرح الحوادث الا الآن ؟ هم ! وتلك الحلية التي وجدها نيكولاي وراء الباب ! هل كان ذلك ممكنا ايضا ؟ أدلة جرمية ؟ ان نقطة تدرس بعناية يمكن ان تتحول الى دليل يبلغ في حجمه مبلغ اهرامات مصر • هل يعقل أن تكون ذبابة كانت طائرة هناك فرأت كل شيء ؟ »

كان راسكولنيكوف يفكر في هذا والرعشة الباردة المتجمدة كامنة في جسمه • وفجأة احس بالاشمئزاز العميق من الضعف الجسدي البالغ الذي كان عليه • وتابع تفكيره بابتسامة ويأس مريرين :

« كان ينبغي ان افكر في ذلك ! ثم كيف جرؤت ـ انا الذي كنت اشعر شعورا مسبقا بما سيحل بي ـ كيف جرؤت على اخذ فأس وتلطيخ نفسي بالدم ؟ لقد اردت معرفة ذلك مسبقا ! ايه ! لكنني كنت اعرفه من قبل » •

كان احيانا يتوقف طويلا امام فكرة طارئة ويقول :

« ان هؤلاء الناس لم يصنعوا هكذا • ان « السيد » الحقيقي الذي يسمح له بكل شيء يضرب (طولون) بالمدافع ، وينظم مذبحة في باريس ، « وينسى » جيشا كاملا في مصر ، و « ينفق » نصف مليون رجل في معركة موسكو ، ثم ينسحب من الميدان بلغز في « فيلنا » • ان « هذا » عند موته تقام له التماثيل وكل شيء اذن مسموح له • كلا ان هؤلاء الرجال ليسوا من لحم ودم ، بل انهم من « البرونز » •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وجاءت فكرة اخرى على هامش هذه المسألة كادت ان تضحكه :

« نابليون ، الاهرامات ، واترلو ، وعجوز فذرة فانية ارملة مسجل كلية مرابية كريهة ، صندوقها مغلف بالجلد الاحمر وموضوع تحت السرير ! كيف يمكن ان يبتلع المرء هذا ؟ حتى ولو كان بورفير بيتروفيتش ؟ كيف سيهضمه ؟ ان الذوق السليم ليعترض عليه . فهل كان نابليون ليزحف تحت سرير امرأة عجوز ؟ هيا اصمت ايها القذر ! »

كان يشعر تارة انه فريسة هذيان فأصبح تحت تأثير رعب محموم :

« لنفرض ان العجوز كانت ضحية خطيئة فان المسألة ليست هنا ، اذ انها لم تكن الا لونا من التشويش ، ولقد اردت ان اجتاز « العائق» بسرعة . انه ليس مخلوقا بشريا ذلك الذي قتلته . بل هو المبدأ ، المبدأ ، ولقد قتلته كما يجب . اما عن المرور فوقه فانني لم استطعه . نعم ، لقد لبثت عاجزا عن المرور وكل ما استطعت عمله هو القتل ، وحتى هذا فانني لم احسن عمله كما يبدو ! »

« المبدأ ؟ لم أهان رازوميخين السخيف الاشتراكيين منذ برهة ؟ انهم رجال اعمال نشيطون . انهم يهدفون الى« السعادة العالمية » ... كلا . كلا . لقد اعطيت لي الحياة مرة واحدة ولا اريد ان انظر تلك « السعادة العالمية » . اريد ان اعيش بنفسي والا فان من الافضل الا اعيش . ماذا بعد ؟ كل ما في الامر انني لم ارغب في ان امر امام أم متلهفة مشوفة قابضا على روبلي في جيبي بانتظار « السعادة العالمية» . انهم يقولون انني احمل حجري للمساهمة في بناء تلك السعادة وذلك كاف لاحصل على هدوء القلب » .

« ها ها ! لم اذن نسيتموني ؟ ليس لي الا حياة واحدة اريد ان اعيشها أنا الآخر ؟ » ..

ثم انفجر ضاحكا وقال : لست الا هواما في دنيا الجمال الخلقي .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

نعم هواما !

وعاد يضحك ضحكته المخبولة . وبدت له الفكرة جميلة . فتمسك بها بسرور حتى يمحصها ويتبلى باستعراضها على مختلف زواياها ويخاطب نفسه قائلا :

ـ لو انني ناقشت الموضوع اولا على اعتباري حثالة فقط اوهواما، ثم لانني ثانيا : ازعجت « القدرة » خلال شهر كامل وأنا اشهدها بانه لن يكون ما قررت الاخذ به من اجل الجسد او اللذة والسرور ، بل انه في سبيل هدف جميل فتان .. ها ها ! وفي المرحلة الثالثة على اعتبار انني وضعت لنفسي مبدأ التنفيذ بأدق ما يمكن من العدالة ملاحظا في تنفيذ عملي الوزن والمقياس والرياضيات ، فانني انتقيت من كل موبقات العالم أكثرها ضررا ولما قتلتها كنت مقررا في نفسي ان آخذ منها ما يلزمني للقيام بخطواتي الاولى لا اكثر ولا اقل . (والباقي كان سيذهب الى الدير طبقا لما ورد في وصيتها ! ها ها !) نعم نعم... انني لست اكثر من هوام !

وصرف على اسنانه وأضاف :

ـ ذلك لانني قد اكون شيئا أحقر وابشع من ذلك ، ولأنني من قبل كنت أشعر بأنني سأقول ذلك لنفسي عندما أقتلها . فهل هناك شيء يمكن ان يقارن بهذا الرعب ؟ آه يا للدناءة ويا للنذالة ! آه ... آه ... كم أفهم « النبي » الممتطي حصانا ويهز بيده سيفا ! الله يريد فاستسلم وأطع أيها المخلوق الرعديد ! انه على حق ! انه على حق هو ـ النبي ـ عندما يكون تحت امرته في مكان ما من الشارع «بطارية» مدفعية ممتازة تضرب الشرير والطيب دون ان يتنازل بابداء أي تفسير! اطع ايها المخلوق الرعديد واحترس من ان تريد لأن الارادة ليست من عملك ! آه لن اغفر أبدا أبدا لتلك العجوز اللعينة ! .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

واخضل شعره بالعرق وارتجفت شفتاه وفارقهما زواؤهما !وشخص ببصره الى السقف ! واردف :

ـ كم كنت احب أمي وأختي فكيف حدث ان رحت أكرههما الآن ؟ نعم ! انني اكرههما حسيا ولا استطيع احتمالهما قريبتين مني ! منذ حين اقتربت من أمي وعانقتها ... انني اذكر ذلك . كنت اعانقها وأفكر في موقفها لو كانت تعلم ... ! هل استطيع ان اروي لها الامر ! ؟ سيكون عملا طيبا مني ...هم ! ينبغي ان تكون مثلي تماما...

ثم استجمع افكاره بمجهود جبار كما لو كان يناضل للتخلص من الهذيان الذي كان يدهمه ، وأضاف :

ـ« العجوز ! اعتقد انني سأقتلها مرة اخرى اذا عادت ! مسكينة اليزابيت ! لم وجدت هناك ؟ غريب ! اني لا اكاد اذكرها كما لو انني لم اقتلها ! اليزابيت ! سونيا ! ايتها الفتيات المسكينات المتواضعات الوادعات ذوات العيون الطافحة بالطيبة والنبل ! ايتها المخلوقات العزيزة ! لماذا لا يبكين ؟ لم لا يشتكين ؟ انهن يجردن أنفسهن من كل شيء وينظرن بهدوء وعذوبة ! سونيا ... سونيا .. سونيا الهادئة !»

وفقد الذاكرة !

وبدا له غريبا الا يذكر كيف وجد نفسه في الشارع . كان المساء قد حل وتقدم شوطا .. وتكاثف الظلام والقمر يلتمع بنور يزداد قوة! لكن الجو كان خانقا بشكل ملحوظ . وكانت جماعة من الناس تسير في الشارع والعمال المتعبون المكدودون عائدين الى دورهم أما الاخرون فكانوا يتنزهون ! وكانت هناك رائحة كلس وغبار وماء آسن . وكان راسكولنيكوف يسير حزينا مشغول الفكر وهو يتذكر أنه خرج من البيت لغاية ما ، وان عليه ان يقوم بعمل عاجل لكنه نسي طبيعة ذلك العمل .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وفجأة توقف عن السير اذ رأى في الجانب الاخر من الشارع رجلا على الرصيف يشير اليه بيده ! فاجتاز الطريق ليبلغ اليه لكن الرجل استدار فجأة وعاد يمشي كما لو انه لم يكن مشغولا بشيء • كان مطرق الرأس لا ينظر وراءه ، ولا يبدو عليه أنه نادى راسكولنيكوف• وتساءل راسكولنيكوف قائلا : « لكن ماذا ؟ لقد ناداني ! » وراح يتعقبه ! فلم يقطع عشر خطوات حتى عرفه ! كان ذلك الرجل القصير الذي تحدث معه منذ حين • وكان يرتدي ثيابه تلك ويبدو محدوديا كما رآه اول مرة !

تبعه راسكولنيكوف عن بعد وقد ازدادت ضربات قلبه ، وسلكا شارعا جانبيا دون ان يلتفت الرجل نحوه ! فتساءل راسكولنيكوف قائلا : « ترى هل يعرف انني على آثاره ؟ » وفجأة اجتاز الرجل مدخلا عموميا يؤدي الى بناء كبير • فاتجه راسكولنيكوف بسرعة نحو المدخل وراح يمعن النظر • فهل كان ذلك الرجل ينظر اليه وهل كان يناديه ؟ لا شك لانه عندما تقدمه في الدخول التفت نحوه واشار له بيده • فتبعه راسكولنيكوف على الفور لكنه لم يجده حيث كان ! كان قد اختفى ! قدر راسكولنيكوف انه لا شك ولج اقرب مدخل الى حيث كان يقف • وكان هناك سلم قريب يقع الى اليمين فاندفع راسكولنيكوف صاعدا وما ان ارتقى طبقتين حتى كان صوت الخطوات البطيئة المتزنة يصل الى اذنيه بوضوح • والغريب في الامر ان ذلك السلم لم يبد غريبا في عينيه • هذه نافذة الطبقة الاولى • كان ضوء القمر يتسلل خلالها حزينا غامضا •• وهذه الطبقة الثانية من البناء ••• هه ! هذا هو المسكن الذي كان العاملان يشتغلان فيه ! كيف لم يتعرف على المنزل قبل ان يدخله ؟

كانت خطوات الرجل قد خفتت في تلك اللحظة ، فقدر راسكولنيكوف أنه توقف وأختبأ في مكان ما وسرعان ما ارتقى

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

السلم وثبا الى الطبقة الثانية • وراح يسأل نفسه عما اذا كان يجب ان يتابع الصعود ! •• يا للسكون المخيف ! وعاد الى السلم يرتقيه !

أصبح وقع خطواته الشخصية يخيفه ويرهبه ! فهتف :

ـ رباه ما اشد الظلام ! ان الغريب ولا شك مختبىء في مكان-ما•• في احدى الزوايا ! آه ان المسكن الذي يطل على السلم مفتوح الباب!

فكر قليلا ثم دخل ! كان المدخل معتما جدا وخاليا لا احد فيه حتى وكأن المسكن كان خاليا • فسار على اطراف قدميه متجنبا اصدار اي صوت ،ودخل الصالون فاذا بضوء القمر يغمره وينيره بشدة • كان كل شيء كما عهده من قبل ، المقاعد والمرآة والديوان والصور في اطاراتها ! وكان القمر كبيرا ذا لون احمر كالنحاس ، يطل بنوره القوي من النافذة ! فكرر راسكولنيكوف « بأن هذا السكون مبعثه القمر لأنه ـ أي القمر ـ كان يحاول حل بعض المعميات » !

توقف برهة وانتظر طويلا وكان قلبه يزداد اضطرابا كلما ازداد القمر هدوءاً حتى انه شعر بألم جسماني من تأثير وجيب قلبه المرتفع • وكان السكون يخيم أبدا •• وفجأة تناهت الى سمعه قرقعة جافة كما لو أن بعضهم وطأ غصنا جافا ،ثم عاد السكون من جديد ! بينما دندنت ذبابة مذعورة وراحت تحوم حتى اصطدمت بزجاج النافذة وهي تطن طنينا اليما • وفي تلك اللحظة ، شاهد في الزاوية بين الخزانة الصغيرة والنافذة ، شيئا يشبه معطفا نسائيا كان معلقا الى الجدار • فراح يفكر قائلا :

ـ لماذا بقي هذا المعطف هنا ؟ انه لم يكن في هذا المكان من قبل !

واقترب بهدوء وقد خمن ان بعضهم اختبأ وراءه • وفي حذر بالغ ، أزاح بيده المعطف فرأى وراءه مقعدا وعلى ذلك المقعد في الزاوية تماما جلست العجوز منطوية على نفسها منخفضة الرأس لدرجة لم يتمكن معها من تمييز وجهها • مع ذلك فقد تأكد بأنها هي هي ! وهتف

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يناجي نفسه قائلا :

ـ انها خائفة !

وبهدوء زائد خلص فأسه من الانشوطة التي ربطها بها ثم ضرب العجوز بالفأس على جمجمتها ضربة وكررها ثانية ! لكنها ـ ولشديد استغرابه ـ لم تترنح تحت قوة الضربتين . فانحنى عليها يفحصها عن قرب لكنها أحنت رأسها اكثر فأكثر ، وبعد ذلك انطوت حتى وصل رأسها الى الارض ، ونظرت اليه من قدميه الى رأسه ونظر هو بدوره اليها ثم تسمر في مكانه !

كانت العجوز جالسة على كرسيها تضحك ! كانت تتلوى بضحكة مكتومة تسعى بكل جهدها الى اخفائها حتى لا يسمعها . وفجأة خيل اليه ان باب غرفة النوم قد فتح وان هناك وراءه من يضحك ساخرا منه ويهمس ! فامتلكه غضب جامح وراح ينهال على العجوز ضربابكل قوته ولكن الضحكات والهمسات كانت تزداد كلما انهال ضربا بالفأس حتى غدت مسموعة واضحة . وكانت العجوز خلال ذلك تضحك ملء فمها ! فأراد ان يفر لكن مدخل المسكن كان قد اصبح مزدحما بالناس بينما كان الباب المؤدي الى السلم مفتوحا على مصراعيه . وكان الممشى ودرجات السلم كلها مزدحمة بالاشخاص ايضا فلم يكن يرى منهم الا رؤوسا متقاربة ! وكانوا جميعا ينظرون ولكنهم كانوا يحاولون الاحتجاب وينتظرون صامتين ! .. فانقبض قلبه ورفضت ساقاه الحركة وكأنهما اتخذتا جذورا في الارض ، فأراد الصراخ و .. استيقظ !

استرد أنفاسه بصعوبة وبدا له ـ لشديد استغرابه ـ أن الحلم لا يزال مستمرا . فقد كان باب غرفته مفتوحا وعلى العتبة وقف رجل لم يكن قد رآه او عرفه من قبل . وكان الرجل ينظر اليه نظرة ثابتة . فلم يكد راسكولنيكوف يفتح عينيه قليلا حتى عاد واغمضهما . كان مستلقيا على قفاه دون حراك . فراح يتساءل ! « أهو الحلم الذي لا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

زال مستمرا ام ماذا ؟ » وعاد من جديد يختلس نظرة خلال اهدابه •

كان الغريب لا يزال واقفا في مكانه يرقبه • وفجأة اجتاز عتبة الحجرة باحتراس وأغلق الباب وراءه بعناية ، ثم اقترب من المائدة وانتظر دقيقة دون ان يفارقه بنظره ، واخيرا جلس بهدوء على مقعد بالقرب من السرير ووضع قبعته الى جانبه واتكأ بيديه الاثنتين على مقبض عصاه وترك ذقنه ترتكز على يديه • كان يبدو عليه استعداده للانتظار الطويل ، فراح راسكولنيكوف يرتقبه خلسة بقدر ما سمحت له الظروف بالمراقبة • كان الرجل مسنا قوي البنيان ذا لحية كثيفة شقراء أقرب الى البياض •

انقضت عشر دقائق وكان ضوء النهار لا يزال يضيء الحجرة ، غير ان المساء كان يقترب مسرعا • وكان السكوت المطبق يخيم على الغرفة فلا حركة على السلم ولا في اي مكان اللهم الا طنين ذبابة كبيرة كانت ترتطم بزجاج النافذة اثناء طيرانها • فلم يستطع راسكولنيكوف احتمال هذا الموقف أكثر مما احتمل • لذلك فقد نهض فجأة وجلس في مكانه على الديوان وقال :

ـ حسنا ! تكلم ! ماذا تريد ؟

فأجاب الغريب بلهجة مضحكة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة وديعة وقال :

ـ لعمري ، كنت متأكدا من أنك غير نائم واثقا من أنك تحاتلني فحسب • اسمح لي ان اقدم نفسي اليك : أركاد ايفانوفيتش سفيدريكايلوف !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الجزء الثاني

القسم الأول

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

١

راح راسكولنيكوف يناجي نفسه قائلا : « ألا يجوز أن يكون هذا الذي أراه استمرارا لحلمي ؟ » ونظر الى الزائر غير المنتظر في فطنة وحذر ، وقال بصوت مرتفع وهو فريسة الحيرة :

ـ سفيدريكايلوف ؟ يا للاستحالة ! ذلك محال !

فلم يبد على الزائر أنه دهش لهذا الاستغراب ، بل قال :

ـ جئت اليك يدفعني سببان : أولا رغبتي الشخصية في التعرف اليك ، لأنني منذ زمن بعيد سمعت في كثير من الأحيان الى ما يروى عنك من أخبار طيبة . ثم انني أنتظر ألا تتوانى عن دعمي في قضية تمس مباشرة مصالح أختك أفدوتيا رومانوفنا التي لم تقبلني ولا شك اذا ذهبت اليها بمفردي طالما أنها موغرة الصدر ضدي ، الأمر الذي سيكون على العكس اذا أضيفت اليه مساعدتك !..

فقاطعه راسكولنيكوف :

ـ لقد أخطأت في اعتمادك على مساعدتي .

ـ اسمح لي أن أطرح عليك سؤالا: لقد وصلتنا أمس فقط، أليس كذلك ؟ فلم يعطه راسكولنيكوف جوابا .

ـ انه أمس ، وأنا أعرف ذلك ! أما أنا فقد وصلت أول من أمس . حسنا ، هذا ما كنت أريد قوله بهذا الصدد يا روديون رومانوفيتش : أعتقد أنه لا فائدة في محاولة تبرئة نفسي ، ولكن اسمح لي أن أسألك: ما هي الجريمة الحقيقية التي ارتكبتها ؟ أقصد اذا درست المسألة بنزاهة بعيدا عن التأثر بالشائعات والأقاويل !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

واستمر راسكولنيكوف يتأمله في صمت ...

ـ ألأنني جفوت في منزلي فتاة ضعيفة وغازلتها وأهنتها بعروضي المخزية ؟ أليس هذا هو السبب ؟ انني أعرض نفسي شخصيا للوم ! لكن أرجو أن تقدر فقط أنني رجل ككل الرجال ، معرض للاغراء والحب ـ الأمر الذي يحدث طبعا خارج نطاق ارادتنا ـ وعندئذ سيفسر لك الأمر بشكل طبيعي جدا! ان السؤال الحقيقي اذن هو: هل أنا وحش أم أنني ضحية بالمثل ؟ وأية ضحية ! والخلاصة أنني عندما كنت ـ بدافع من شعوري الملتهب ـ أعرض عليها الفرار معي الى أمريكا أو الى سويسرا ، ربما كنت أضمر لها أعمق العواطف المحترمة وأعتقد الى جانب ذلك بأنني أكون سعادتنا معا . ان العقل ليس الا خادم ميولنا ، ومن ذلك ترى أنني كنت أسيء الى نفسي أكثر من الاساءة اليها .

فقاطعه راسكولنيكوف باشمئزاز قائلا :

ـ ان المسألة ليست هنا ، كل ما في الامر أنك مخلوق كريه ! وسواء أكنت مخطئا أم مصيبا فاننا لا نريد رؤيتك ونطردك ! ليس لك الا أن « تذهب ! » .

فقهقه سفيدريكايلوف ضاحكا فجأة ضحكة صافية بريئة ، وقال :

ـ أرى أنك تناقش الموضوع بحماسة لقد فكرت في استعمال الدهاء أول الأمر وها أنت تندفع مباشرة الى الهدف !

ـ ومع ذلك لا زلت تخاتل .

قال سفيدريكايلوف ، وهو يضحك ملء فمه :

ـ ماذا ؟ ماذا تقول ؟ ان هذا ما يسمونه بالحرب النزيهة .. خدعة مشروعة تماما . على كل حال لقد قاطعتني في كلامي ، ولكي نعود الى أغنامنا (١) أقول : أنني أؤكد اذن أنه لولا حادثة البستان لأمكن

---

(١) تعبير يقصد منه العودة الى موضوع الحديث ! ـ المترجم ـ

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تحاشي المزعجات جميعا . ان مارت بيتروفنا ...

فقاطعه راسكولنيكوف بشراسة :

ـ يقولون انك أرسلت مارت بيتروفنا الى العالم الآخر ...

ـ آه ! لقد سمعت بهذا أيضا ؟ لكن كيف لا تكون سمعت به ؟... لعمري لست أدري في الحقيقة ماذا أقول جوابا على هذا السؤال رغم أن ضميري مرتاح تماما من هذه الناحية ! لا تظنن بأني أخاف شيئا يصيبني بسبب ذلك . ان كل شيء قد وقع بنظام تام ودقة شديدة: فقد أثبت التحقيق الطبي وقوع حالة من حالات السكتة القلبية سببها الحمام الذي أخذته عقب طعام دسم وافر شربت معه المتوفاة بشراهة حوالي زجاجة كاملة من النبيذ ! ولم يستطيعوا اكتشاف شيء آخر ... كلا ، ليس هذا هو الموضوع . لكنني أتساءل أحيانا وأنا في المركبة خلال سفري ـ هل ساهمت حقيقة في تلك ... المصيبة باثارتي اضطرابا عقليا أو بأية وسيلة أخرى ! فتبينت استحالة ذلك عمليا .

راح راسكولنيكوف يضحك بدوره ويقول :

ـ كان هناك اذن ما يقلقك ؟

ـ لِمَ تضحك ؟ تصور الأمر كما سأصفه : لقد ضربتها بالسوط ضربتين فقط لم يبقَ لهما أثر مطلقا ... أرجو ألا تعتبرني وقحا . انني أعرف تماما أن ما صدر عني يعتبر عملا بغيضا ... لكنني أعرف تماما وبشكل تأكيدي كذلك ، أن هذه البوادر ، ولنقل بوادر الاهتمام ، لم تكن تسيء الى مارت بيتروفنا . انها استثمرت القصة المتعلقة بأختك استثمارا متواصلا ، وأخيرا لبثت في المنزل خلال الأيام الثلاثة الأخيرة مرغمة ، لأنها لم تجد أي سبب جديد تتذرع به للذهاب الى المدينة ، لقد أضجرت الناس بقراءة تلك الرسالة العتيدة ـ هل سمعت كذلك بتلك الرسالة ؟ ـ حسنا ... وهكذا وجدت فجأة ضربات السوط قد

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

سقطت عليها تساقط الرحمة من السماء ، فكان أول ما أرادت عمله هو تجهيز العربة !.. كذلك لن ألفت انتباهك الى أن بعض النساء يشعرن بسرور بالغ اذا استهدفن للاهانة مهما سببت لهن من الغضب . انهن على هذا الشكل ... على كل حال ، ان الجنس البشري كله يعبد التشهير به ترى هل لاحظت ذلك ؟ أما النساء فانهن يتذوقن ذلك بصورة خاصة حتى ليقال انهن لا يستطعن العيش بدونه ...

خطر لراسكولنيكوف أن يخرج من الغرفه فيضع بخروجه حدا لهذه المقابلة ، لكن لونا من الفضول بل ومن التعمد استبقاه في تلك اللحظة. سأل بلهجة ساهمة :

ـ هل تحب الضرب ؟

فأجابه سفيدريكايلوف بهدوء :

ـ كلا ... ليس بكثرة . أما فيما يتعلق بمارت بيتروفنا فانني لم استعمل يدي معها تقريبا أبدا . لقد كنا نعيش في تفاهم متين وكانت دائما مسرورة مني . لقد استعملت السوط مرتين فقط خلال الاعوام السبعة التي قضيناها معا ـ باستثناء حالة ثالثة كانت مبهمة كانت المرة الاولى بعد زواجنا بشهرين ، عندما عدنا الى الريف ، والمرة الثانية كانت هذه الأخيرة . انك تفكر الآن بأنني كنت وحشا ، رجعيا ، نصيرا للاسترقاق والعبودية ... ها ها !... على فكرة ، أتذكر يا رودیون رومانوفيتش أنه منذ بضع سنوات ، أيام « بيانات الخلاص » شهر بشخصية لا أذكر اسمها ولطخ اسمها بالاوحال لأنها ضربت في احدى المركبات سيدة ألمانية بالسوط ؟ هل تذكر هذا الحادث ؟ أعتقد أنه في تلك السنة وقع ما سموه « فاحشة القرن الشنيعة » !... هيا .. تذكر المحاضرة العامة عن الليالي المصرية والعيون السود ! آه أين أنت يا أيام شبابنا الذهبية ! اليك رأيي الشخصي حول هذا الموضوع ! انني بعيد عن الاستئناس بذلك السيد الذي ضرب تلك الألمانة بالسوط لأنه ليس

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

في الأمر حقيقة ... ما يؤنس ! انني اذ أقول لا أستطيع الا أن أضيف أن هنالك أحيانا بعض « الألمانيات » يثرن في النفس رغبة عنيفة في ضربهن حتى ان من يمتلك نفسه حيالهن ليس في رأيي تقدميا ! ان أحدا لم يفحص المسألة على هذا الوجه ، ومع ذلك فانه الوجه الوحيد الذي يمكن بحثه تماشيا مع روح العدل .

وانفجر سفيدريكايلوف بعد ذلك في ضحكة جديدة ، فتأكد راسكولنيكوف بوضوح أن الرجل يحمل فكرة مدروسة بحزم . سأل :

ـ لا شك أنك انقطعت عن التحدث الى الناس خلال أيام عديدة متتالية !

ـ ان هذا صحيح نوعا ما : ألا يدهشك أن تجدني رجلا أنيسا جدا؟

ـ كلا ، بل انني أدهش اذ أراك أنيسا اكثر مما يجب ! ـ لأنني لم استاء من فظاظة أسئلتك ؟ أليس هذا هو السبب ؟. لكن ... لم أستاء منها ؟

وأضاف بسلامة نية مدهشة :

ـ مثل ما سألتني كذلك أجبتك !

ثم أردف بلهجة حالمة :

ـ انك ترى يا سيدي أنه يمكن القول بأنني لا أهتم بأي شيء . انني في هذه الأثناء خال من المشاغل ... مع ذلك فانك حر في أن تصدق أنني أعتمد على مساعدتك وأن لي شأنا مع أختك كما حدثتك ! لكنني أؤكد لك بصراحة أنني شديد الملل وخصوصا في الأيام الثلاثة الأخيرة ـ حتى انني سعيد جدا برؤيتك ! لا تغضب يا رروديون رومانوفيتش ، انك تبدو لي كذلك غريبا بشكل مخيف. ان في سريرتك الآن بصورة خاصة شيئا لا يمكنك اخفاؤه مهما نفيت وجوده ، ولا أقصد في هذه اللحظة بالذات بل أعني في الوقت الحاضر ... هيا لا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تقطب حاجبيك • سأكف عن التحدث في هـــذا الأمر ••• انني لست ذلك الدب الذي تظنه !

فنظر اليه راسكولنيكوف مريدا وأجاب :

ــ لعلك لست « دبا » أبدا ، بل يبدو لي أنك رجل اجتماعي ممتــاز أو على الأقل انك تعرف كيف تبدو ــ عند الاقتضاء ــ رجلا طيبا •••

فأجاب سفيدريكايلوف بلهجة جافة فيها شيء من الاحتقار :

ــ لعمري لست أبالي برأي أحد ، وانني لأتساءل لم لا أكون شقيــا طالما أن هذا اللون من الحياة يبدو لنا أكثر سهولة ! خصوصا وأننا نميل غريزيا الى الشقاوة •••

وانفجر ضاحكا ضحكة ساخرة !

ــ لقد سمعت رغم ذلك بأن لك هنا كثيرا من المعارف • انــك لست من يمكن أن يطلق عليه اسم رجل محروم من الاتصالات ! على ذلــك فانني أتساءل عن الدافع الذي جاء بك الى منزلي وما هي غايتك ؟

استرسل سفيدريكايلوف دون أن يجيب على السؤال الرئيسي :

ــ انك على صواب • انني أعرف كثيرا من الناس ! لقد التقيت بعدد من الاشخاص خلال هذه الأيام الثلاثة التي قضيتها متسكعا هنا فعرفتهم، وأعتقد أنهم عرفوني بالمثل • انني أبدو رجــلا موسرا وثيابي مناسبة تماما ، أليس كذلك ؟ ان الغاء الرقيق لم يؤثر علينا : انني أمتلك مراعي وغابات لذلك فان مواردي تبقى ثابتة • لكن ••• لن أذهب عند ذلــك النوع من الناس ، لقد سئمتهم من قبل ! انني أضرب في الطرقات منــذ ثلاثة أيام ، ولم أقترب بعد من أحد • انهم يسمون هذه مدينة ! انك نمن علي كثيرا اذا قلت لي كيف هي قــائمة ! مــدينة الموظفين وتلاميذ المدارس الروحية ! الحقيقة أن أشياء كثيرة فاتني تفهمها خلال تجوالي

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

القاجر السابق فيها منذ ثمانية أعوام. أما الآن فانني لا أعول ، وربي، الا على التشريح !

ـ على أي تشريح ؟

فأجاب ، دون أن يعير السؤال التفاتا :

ـ كل هذه الأندية والمطاعم التي اصطلح على اعتبارهـــا مجهودا تقدميا ...! ينبغي ان تستغني عني . ثم هل مـــن الضروري أن يكون المرء غشاشا ؟

ـ هل كنت كذلك غشاشا ؟

ـ كيف العمل بغير ذلك ؟ كنا جماعة من الناس الموسرين ، وكنا منذ ثمانية أعوام نبحث عن وسائل لقتل الوقت ، وكنا جميعا ـ وينبغي أن تعرف ـ نمتلك وسائل طيبة . كان بيننا الشعراء وأصحاب رأس المال . على العموم ، هل لاحظت أن خيرة الناس وأحسنهم وسائلا في مجتمعنا الروسي هم الأشقياء ؟ الريف هو المكان الذي ذهبت اليه . لأنني كدت أن أسجن من أجل ديون كانت علي ليوناني قذر من « نييجين » ، لولا أن جاءت في تلك الأثناء مارت بيتروفنا فساومت الدائن وحررتني مـــن سلطته لقاء ثلاثين ألف روبل ـ مع أن مجموع ديوني بلغ سبعين ألفا ـ وتزوجنا زواجا شرعيا ، ثم صحبتني فور ذلك الى القرية كما لو انهـــا وضعت اليـــد على كنز ثمـــين . كانت أكبر مني بخمس سنين ، وكانت تحبني كثيرا ، وقد أمضيت سبع سنين لا أبارح الريف وهي ـ لاحـــظ ذلك ـ محتفظة بالوثيقة المتعلقة بالثلاثين ألف روبل ، وكانت أودعتهـــا لدى شخص ثالث ، لتستعملها ضدي عند الاقتضاء ، وبذلـــك كانت تستطيع الاطباق علي أبدا اذا خطر لي أن أتحرر من النير ! ولقد كانت على استعداد لذلك العمل ! لك أن تجرب لترى كيف يحدث مثل ذلـــك مع النساء !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ هل كنت ستنسحب لولا وجود تلك الوثيقة ؟

ـ لست أدري بماذا أجيبك ! لم تعد تلك الوثيقة تزعجني ، ولم تكن بي رغبة للذهاب الى أي مكان . لقد عرضت علي مارت بيتروفنا نفسها أن أسافر الى الخارج عندما شعرت بأنني متضجر . نعم ... لقد ذهبت من قبل الى الخارج فكنت دائما أشعر بسأم قاتل هناك . صحيح أن الأمر لا يدعو الى مثل هذا التبرم : فهناك شروق الشمس وخليج نابولي والبحر .. لكنك تنظر الى هذه المناظر فتشعر بشيء من الحزن . ان ذلك الحزن هو الذي يشعرني بالسأم الشديد . كلا .. ان من الخير للمرء أن يبقى في بلده لأننا هنا ، على الاقل ، نتهم الآخرين بكل شيء ونزكي أنفسنا بذلك الاتهام ... لعلني أذهب الآن طائعا الى القطب الشمالي لأن عندي ـ بعد أن لم يتبقَ لي الا الكحول ـ خمرا رديئة تقززت نفسي من شربها . لقد جربت ذلك ! وعلى فكرة يقولون ان « بيرنج » سيطير من حديقة يوسوبوف يوم الاحد المقبل على متن منطاد كبير ، وأنه يوافق على اصطحاب رفاق طريق لقاء بدل معين ، فهل ذلك صحيح ؟

ـ كيف ، أتذهب بالمنطاد ؟

غمغم سفيدريكايلوف وقد غدا مستغرقا في التفكير

ـ أنا ؟ كلا ... أعني ...

بينما فكر راسكولنيكوف في نفسه متسائلا : « ترى ماذا يريد على العموم ؟ »

أردف سفيدريكايلوف بلهجة حالمة :

ـ كلا ... ان تلك الوثيقة لم تكن تقلقني ، ولم أكن شخصيا أرغب في مبارحة الريف . عما قليل سينقضي عام منذ أن أعادت الي مارت بيتروفنا الوثيقة بمناسبة عيد ميلادي ، مضافا اليها مبلغ محترم من المال باسم هدية ! لقد كانت غنية ! قالت لي : «أترى يا أركادي ايفانوفيتش كم

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أنا واثقة بك ؟ » . نعم ... لقد نطقت بهذه العبارة بالحرف الواحد . ألا تصدق أنها قالت ذلك ؟ لكنني كنت قد أصبحت مزارعا ممتازا معروفا في نواحينا . ثم انني استجلبت كتبا . ووافقت مارت بيتروفنا على ذلك بادىء الأمر ، ثم خشيت بعد ذلك أن أتعب نفسي بالقراءة.

ـ يبدو لي أنك سوف تتضجر بعد مارت بيتروفنا !

ـ أنا ؟ يجوز ! انه ممكن الوقوع . على فكرة ... هل تؤمن بالأشباح !

ـ أشباح من ؟

ـ الأشباح بصورة عامة ! أشباح من تريد أن يكون البحث عنها ؟

ـ هل تؤمن بها أنت ؟

ـ نعم ولا ، لأرضيك ! أقصد أن « لا » تكون أكثر من اللازم .

ـ وهل ترى أشباحا ؟

نظر اليه سفيدريكايلوف نظرة غريبة وتمتم ، وهو يكشر ضاحكا :

ـ ان مارت بيتروفنا ! ! تزورني .

ـ كيف ! هل تأتي لزيارتك ؟

ـ نعم . لقد جاءت حتى الآن ثلاث مرات . لقد شاهدتها أول مرة يوم دفن زوجتي بالذات ، بعد ساعة على عودتنا من المدفن . كان ذلك قبل سفري الى بطرسبورج بليلة واحدة. وكانت المرة الثانية أمس الاول خلال سفري عند بزوغ النهار في محطة « مالائيا ـ فيشيرا » . أما المرة الثالثة فقد وقعت منذ ساعتين في مسكني الذي أنزل فيه وفي غرفتي بينما كنت وحيدا .

ـ هل كنت مستيقظا ؟

ـ تماما ! لقد كنت مستيقظا تماما خلال المرات الثلاث . انها تأتي

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فتتحدث دقيقة واحدة ثم تذهب عن طريق الباب دائما حتى ليخيل ألي أنني أسمع وقع أقدامها .

فقال راسكولنيكوف دون وعي :

ـ ان هذا مضحك ! كنت أحدث نفسي كذلك بأن من الواجب أن يحدث لك أمر كهذا ...

ثم لام نفسه على ما بدر منه واستغرب صدور هذا الكلام عنه. لقد كان في اضطراب عنيف . سأله سفيدريكايلوف بدهشة :

ـ هكذا اذن ؟ كنت تفكر في ذلك ؟ هل هذا ممكن ؟ حسناً ! ألم أقل لك ان بيننا شيئا عاما يجمعنا ؟

أجاب راسكولنيكوف بانفعال :

ـ انك لم تقل ذلك أبدا ...

ـ لم أقله ؟

ـ كلا !

ـ كنت أعتقد أنني قلته . منذ حين عندما دخلت ، وكنت أنت مستلقيا مغمض العينين تتصنع النوم، قلت لنفسي : «هذا هو بالذات!»

صاح راسكولنيكوف :

ـ ماذا تعني بـ : « هذا هو بالذات » ؟ الى م تلمح ؟

غمغم سفيدريكايلوف ، وقد بدت عليه حيرة ساذجة :

ـ الى م ؟ الحقيقة لست أدري ..

وأعقب ذلك دقيقة صمت راحا خلالها يحدقان في عيني بعضهما .

صاح راسكولنيكوف عفوا :

ـ ان هذا مناف للعقل ! ماذا تقول لك كلما جاءت تزورك ؟

ـ هي ؟ تصور انها تحدثني عن أتفه الأشياء ، وهذا ما يغيظني ، وستذهل عندما ترى أي نوع من الرجال أنا ! عندما دخلت علي في المرة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الاولى ، كنت وحيدا في مكتبي أدخن السيجار وأسبح في الخيال وقد أرهقني التعب اثر الحفلة الجنائزية والترتيل ثم الموكب والطعام . والخلاصة انني كنت على تلك الحال حينما دخلت من الباب وقالت : هه ! يا أركادي ايفانوفيتش ، لقد نسيت اليوم ــ بسبب كل هذه الاشجان التي عرضت لك ــ أن تملأ ساعة غرفة الطعام الدقاقة » ! وفي الحقيقة أنني درجت منذ سبع سنين على املاء تلك الساعه بنفسي كل اسبوع ، وعندما كنت أنسى ذلك كانت هي التي تذكرني به دائما . وفي اليوم التالي ، كنت عند الفجر في المحطة مستعدا للسفر الى هنا . كنت خلال الليلة الفائتة مجهدا من التعب فكان النعاس يداعب عيني . أمرت لنفسي بقدح من القهوة . وفجأة شاهدت مارت بيتروفنا تجلس الى جانبي وبيدها ورق لعب . قالت : « يا اركادي ايفانوفيتش ، هل تريد أن تعلم ما ينبىء به الورق عن رحلتك ؟ » كانت زوجتي في حياتها قد أصبحت « أستاذة » في التنجيم بالورق ، ولن أغفر لنفسي أبدا أنني لم أستشر الورق قبل رحيلي . فررت مذعورا . وكان جرس الرحيل يقرع في تلك الاثناء ! واليوم بعد أن عدت من دكان شواء تناولت فيها طعاما مزعجا وكانت معدتي مثقلة ، وكنت أدخن ــ ومن عادتي التدخين فور الجلوس ــ عندما دخلت مارت بيتروفنا فجأة في أبهى زينة مرتدية ثوبا جديدا من الحرير الاخضر له ذيل طويل جدا . قالت : « عم صباحا يا أركادي ايفانوفيتش ! كيف ترى ثوبي ؟ ان آنسكا لن تستطيع صنع مثله بهذه الدقة » ــ وآنيسكا هذه خياطة في بلدتنا ، وهي فتاة جميلة تعلمت الخياطة في موسكو وكانت من قبل خادمة ــ ثم وقفت أمامي وراحت تستدير لتتيح لي فرصة معاينة الثوب ، فتأملته برهة ثم حدجت زوجتي بنظرة وقلت : « يا مارت بيتروفنا ، الحقيقة أن هذه الترهات لا تستوجب منك عناء المجيء لذكرها لي . » قالت : « آه يا رب ! ها قد أصبحنا نزعجك الآن يا صديقي ! » قلت لها بغية مشاكستها قليلا :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

« يا مارت بيتروفنا ... انني سأتزوج ... » فأجابت : « ذلك شأنك يا أركادي ايفانوفيتش . انه لا يشرفك ولا شك أن تتزوج فور دفن زوجتك . ومع ذلك فانك وان كنت قد أحسنت الانتقاء فان الزواج سوف لا يجلب لكما السعادة ، ولسوف تصبحان أضحوكة للاشخاص النبلاء . » ثم أخذت قبعتها وخيل الي أنني أسمع حفيف ثوبها على الارض . انه أمر لا يصدق ، أليس كذلك ؟

ـ صحيح ، كما أنه يجوز أن يكون ما تقوله محض اختلاق !

فأجاب سفيدريكايلوف بلهجة حالمة كما لو أنه لم يلاحظ خشونة السؤال :

ـ انني أكذب نادرا .

ـ وهل رأيت أشباحا قبل ذلك ؟

ـ بلى ، مرةواحدة فقط وكان ذلك منذ ست سنين . كان عندي خادم اسمه فيليب . وكنا قد دفناه وعدنا لتونا فصحت وأنا ساهم : « فيليب علي بغليوني ! » فدخل واتجه مباشرة نحو الخزانة التي كانت غلاييني موضوعة فيها . وكنت جالسا أفكر في « أنه يثأر مني » لأننا ـ أنا وهو ـ كنا قد تشاحنا بعنف قبل موته، فقلت له : كيف تجرأ على المثول أمامي بكم ممزق ؟ أخرج من هنا ، أيها الخليع !.. فاستدار على كعبيه وخرج ولم يعد بعد ذلك . ولم أهمس بكلمة أمام مارت بيتروفنا وقد عقدت العزم أولا على اقامه قداس من أجل روحه غير أنني شعرت بضيق من ذلك .

ـ اذهب واستشر طبيبا !

ـ لست في حاجة اليك لأعرف أنني مريض ، رغم أنني لا أعرف نوع المرض . غير أنني أعتقد بأنني في حالة صحيه أفضل خمس مرات من حالتك ! لم أسألك كذلك عما اذا كانت الأشباح يمكن أن تظهر أم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لا . لقد سألتك : هل تؤمن ــ نعم أم لا ــ بوجود الأشباح ؟

صاح راسكولنيكوف بغضبة هوجاء :

ــ كلا انني لا أؤمن بذلك !

غمغم سفيدريكايلوف وهو ينظر نظرة جانبيةوقد أحنى رأسه قليلا وكأنه يحدث نفسه :

ــ ماذا يقولون عادة ؟ انهم يقولون : «انك مريض وعلى ذلك فان ما يبدو لك ظاهريا لا وجود له ، انه كابوس مزعج » . ومع ذلك فان هذا لا يتفق بدقة مع المنطق . أنا أوافق على أن التخيل من خصائص المرضى ، لكن ذلك يثبت بأن الانسان لا يرى الأشباح الا في الحالات المرضية ، وليس أنها غير موجودة بحد ذاتها .

فأصر راسكولنيكوف بغضب :

ــ لا شك أنها غير موجودة !

نظر سفيدريكايلوف اليه ببطء وأردف :

ــ كلا ؟ أتفكر هكذا ؟ ماذا اذن لو ناقشنا الموضوع على الوجه التالي ــ وأرجو أن تساعدني ــ : « ان التخيلات هي قطع أو أجزاء من عوالم أخرى . والرجل السليم لا يربطه بها بالطبع شيء لأن الرجل السليم هو قبل كل شيء رجل من هذا العالم السفلي ، وانه على هذا الأساس ينبغي أن يعيش حياته الأرضية الوحيدة . هذا من حيث الانسجام والتنظيم . لكنه لا يكاد أن يمرض ، أو على الأصح لا يكاد ذلك التنظيم الارضي الطبيعي يختل في تكوينه ، حتى تبدأ في الظهور امكانية عالم آخر . وكلما ازداد مرضه كذلك تزداد اتصالاته بذلك العالم الآخر ، حتى أن الرجل الذي يموت أخيرا تماما يمضي مباشرة الى العالم الآخر » .

لقد ناقشت الأمر على هذا الوجه منذ زمن طويل، فاذا كنت تؤمن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بالحياة الاخرى فانه من الممكن لك ان تؤمن كذلك بهذه المناقشة .

قال راسكولنيكوف :

ـ أنا لا أؤمن بالحياة الأخرى !

لبث سفيدريكايلوف حالما ، وقال فجأة :

ـ ماذا لو لم يكن هناك الا العناكب أو أشياء من هذا القبيل ؟

قال راسكولنيكوف في سره : « انه مجنون ! » بينما عاد سفيدريكايلوف يقول :

ـ اننا نتمثل الأبدية كفكرة يمكن فهمها ، اننا نتمثلها دائما كشيء غير محدود، متناه في العظمة. لكن لمَ تكون حتما متناهية في الامتداد ؟ تمثل فجأة بدلا من ذلك أنه ليس هناك الا غرفة صغيرة تشبه حمامات الارياف مثلا ، سوّدها الدخان ونسجت العناكب في زواياها بيوتها، وأن « هذا » هو الابدية ! أتدري أنها تبدو لي أحيانا كذلك !

هتف راسكولنيكوف وقد أحس بشعور قلق :

ـ هل يمكن ، هل يمكن ألا نتصور شيئا أكثر تعزية وأكثر صحة من هذا ؟

فأجاب سفيدريكايلوف ، وهو يضحك ضحكة غامضة :

ـ أكثر صحة ؟ من يدري ؟ لعل هذا هو الصحيح. أما فيما يتعلق بي فانني لا أتأخر عن اظهارها على هذا النحو عامدا ...

لم يتمالك راسكولنيكوف ازاء هذا الجواب الغريب الا أن يشعر ببرد مفاجيء . أما سفيدريكايلوف فقد رفع رأسه ونظر اليه بحدة ، ثم انفجر ضاحكا فجأة وهتف :

ـ تصور ما سأقول لك : منذ نصف ساعة لم نكن شاهدنا بعضنا بعد ، وكنا نعتبر بعضنا أعداء لبعض لأن بيننا أمرا لم يوضح وضوحا كافيا ، وها اننا قد تركنا هذا الأمر وانصرفنا عنه الى هذا النوع من

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الأدب ! ألم أقل لك الحق حينما زعمت أننا ثمرتان من أرض واحدة ؟

فقال راسكولنيكوف منفعلا :

ـ اسمح لي ، اسمح لي! أرجو أن تفسر فورا ما تريد وأن تطلعني على سبب تشريفك اياي بزيارتك و .. و .. انني في عجلة من أمري.. أريد الخروج !

ـ حسنا ، لنبحث في هـــذا فقط ! ان أختك أفدونيا رومانوفنـا ستتزوج من السيد لوجين ، بيير بيتروفيتش ؟

ـ ألا يمكن أن نتحاشى كل شيء له علاقة بأختي ، وألا نعود الى ذكر اسمها ؟ لست أفهم كيف تجرؤ على التلفظ باسمها في حضرتي اذا كنت حقيقة سفدريكايلوف !

ـ لكن كيف يمكن ألا أذكر اسمها وأنا الذي جئت للتحدث عنها ؟

ـ حسنا تكلم ، ولكن أسرع !

ـ أنا واثق من أنك اتخذت فكرة ما عن هذا السيد لوجين الذي هو قريبي بالمصاهرة ، وذلك اما أثناء مقابلتك مدة نصف ساعة أو استنادا الى المعلومات التي قد تكون جمعتها عنه والتي قـد تـكون صحيحة ودقيقة . انه غير كفء لأفدونيا رومانوفنا . وفي رأيي أنها ـ في هذه القضية ـ تضحي بنفسها بشهامة وتجرد من أجل ... من أجل أسرتها. ولقد ظننت ـ استنادا الى ما سمعته عنك ـ بأنـك ستسر جدا لفسخ هذا الزواج شريطة ألا تغدر مصالح أختك في الأمر . والآن ، بعد أن عرفتك شخصيا ، فانني أصبحت أشد قناعة من ذي قبل !

ـ ان هذا لسذاجة كبيرة من قبلك بل واعذرني اذا قـلت بـأنه وقاحة !

ـ انك تريد بذلك القول ان تلمح الى أنني « أبشر بقديس » كما يقال ، أي أنني أمهد الطريق لنفسي . اطمئن، يا روديون رومانوفيتش.

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

اذ لو أنني كنت أعمل لمصلحتي لما بدأت بهذه الصراحة العظيمة . انني لست سخيفا تماما ! انني أكشف لك في هذا الصدد عن بسيكولوجية غريبة . انني منذ حين ، عندما غدرت نفسي لأنني أحببت أفدونيا رومانوفنا ، قلت لك بأنني كنت شخصيا ضحية ذلك. حسنا! اعلم بأنني في هذه الساعة لا أشعر بأي حب ، بل ولا بأقل حب نحوها ، حتى أنني دهش شخصيا لهذا الشعور اذ أنني في الواقع شعرت من قبل ...

فقاطعه راسكولنيكوف :

ـ كان ذلك بسبب حياتك الحافلة بالبطالة والفجور !

ـ الواقع أنني عاطل وفاسد . ثم ان أختك تمتلك من المزايا ما يجعل حتى الرجل الذي مثلي يشعر حيالها شعورا ما . لكن ذلك كان كله عبثا . وانني أعترف به لك الآن .

ـ منذ متى شعرت بذلك ؟

ـ لقد كنت أشعر به من قبل . غير أنني تأكدت منه نهائيا أول أمس حال وصولي الى بطرسبورغ رغم انني بلغت موسكو . كنت أتصور بأنني ما حضرت الا لأطلب يد أفدونيا رومانوفنا وأنصب من نفسي خصما للوجين .

ـ اعذرني اذا قاطعتك : ألا يمكنك أن توجز من فضلك ؟ أرجوك أن تصل فورا الى الغاية من زيارتك . انني مضطر الى الخروج عاجلا.

ـ بسرور كبير . بعد أن بلغت المدينة ، وبما أنني قد عزمت على القيام بسفر ما ، أردت على سبيل الاحتياط أن أسوي بعض الأعمال الهامة . لقد بقي أولادي لدى عمتهم ، وهم أغنياء . وأنا شخصيا لست بذي فائدة لهم . ثم أي نوع من الآباء أنا بالنسبة اليهم ؟ انني لم أحمل معي الا المبلغ الذي قدمته لي مارت بيتروفنا هدية في العام الماضي . انه يكفيني . اعذرني ، لقد بلغت الغرض : قبل سفري المقبل الذي يجوز

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كذلك ألا يقع ، أريد أن أنتهي من السيد لوجين ، ليس لأنني أكرهه بكل عنف ، لكن لأنه على العموم المسبب الاول للشجار الذي وقع بين مارت بيتروفنا وبيني عندما بلغني أنها هي التي مهدت لهذا الزواج انني أرغب في الوقت الحاضر أن أقابل أفدوتيا رومانوفنا بواسطتك وبحضرتك ــ اذا كنت ترغب ــ لأعبر لها أولا أنه ينبغي ألا تنتظر أية فائدة على يد السيد لوجين ، بل انها على العكس ستتعرض لاساءات جسيمة . ثم سأستأذنها ــ بعد أن التمس منها الصفح عن المضايقات التي أحدثها لها في المدة الاخيرة ــ في تقديم عشرة آلاف روبل لأسهل بذلك قطع علاقاتها مع السيد لوجين ، ذلك القطع الذي لن تتأخر عن قبوله ــ وأنا واثق من ذلك ــ حالما تجد الامكانيات متوافرة !

صاح راسكولنيكوف ذاهلا أكثر مما هو غاضب :

ــ لعمري انك لمجنون ، مجنون حقا ! كيف تجرؤ على التحدث هكذا ؟

ــ كنت أعرف تماما أنك ستطلق صيحات عالية ! لكنني ــ رغم أنني لست غنيا ــ أستطيع التصرف بهذه العشرة آلاف روبل ، وأقول بأنها غير ضرورية لي بأي شكل من الاشكال . فاذا رفضتها أفدوتيا رومانوفنا فانني متأكد من أنني سأنفقها بشكل أكثر حماقة وسخفا . ثم ... ان وجداني سيكون هادئا تماما . انني أقدم هذا المبلغ دون أية غاية . وسواء أصدقت أم لم تصدق ، فانكما أنت وأفدونيا رومانوفنا سوف تتأكدان من ذلك في المستقبل . ان كل ذلك راجع الى ما سببته حقيقة لأختك الشجاعة من قلق ومزعجات ، وبما أنني أشعر بتبكيت مخلص في ضميري فانني أرغب من كل قلبي ليس افتداء نفسي ، وليس تقديم تعويض مالي كذلك ، بل انني أرغب بكل بساطة أن أقوم بعمل مثيب لأنني لا أمتاز ــ بعد كل شيء ــ بعمل الشر فقط . ولو أن غرضي كان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فيه أدنى جزء من أية فكرة أخرى أغذيها في سري ، لما تقدمت به على الشكل الصريح ، ولما كنت قدمت اليوم فقط عشرة آلاف روبل لا غير وأنا الذي قدمت أكثر منها منذ خمسة أسابيع • ثم انه يجوز أن أتزوج خلال فترة قصيرة جداً من فتاة شابة ، وعلى ذلك فان كل شك أو ظن أنني أهدف الى أفدوتيا رومانوفنا ينبغي ــ لهذا السبب نفسه ــ أن يتبخر ! انني أضيف مختتما كلامي بأنه اذا تزوجت أفدوتيا رومانوفنا من السيد لوجين، فانها ستتلقى هذا المبلغ بالذات ولكن من جهة أخرى •• هيا لا تزعج نفسك ، يا روديو رومانوفيتش • أحكم بهدوء وترو •

كان سفيدريكالوف ، وهو ينطق بهذه الكلمات ، هادئا رابط الجأش بشكل عجيب • فقال راسكولنيكوف :

ــ أرجو أن تكف • على كل حال ان ما تلفظت به منذ حين وقاحة لا تغتفر !

ــ مطلقا • ثم ان الانسان على هذه الارض لا يعمل الا الشر لأترابه، وعلى ذلك أفليس له الحق في أن يقدم لهم ذرة من الخير لا لشيء الا بسبب اصطلاحات محرفة [illegible] طبيعي ! هب جدلا أنني مت وتركت في وصيتي هذا المبلغ لأختك ، فهل كانت سترفض قبوله ايضا ؟

ــ ممكن جدا •

ــ لا أظن ذلك ! [illegible] روبل ثروة طيبة رغم ذلك • أرجو على كل حال أن تطلع أفدوتيا رومانوفنا على هذا الحديث •

ــ كلا ، لن أقول لها شيئا منه !

ــ في هذه الحالة ، يا روديون رومانوفيتش ، سأكون مضطرا الى الحصول على موعد معها بوسائلي الخاصة ، الامر الذي سيزعجها على ما أظن •

ــ واذا حدثتها فيما دار بيننا فهل لا تحاول رؤيتها بنفسك ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لست أدري في الحقيقة بما أجيب . انني أتوق الى مقابلتها مرة واحدة .

ـ لا تتأمل في ذلك مطلقا .

ـ مؤسف . لكنك لا تعرفني . لعل علاقتنا ستصبح أكثر توثقا في المستقبل .

ـ أو تظن أن علاقاتنا ستصبح أكثر توثقا في المستقبل ؟

فقال سفيدريكايلوف ، وهو ينهض ويأخذ قبعته :

ـ لمَ لا ؟ ليس لأنني أريد أن أزعجك الى هذا الحد ، بل وانني عند ما جئت اليك لم أكن أعول كثيرا على ... رغم أن مظهرك الخارجي قد أثر في نفسي هذا الصباح !

سأله راسكولنيكوف بشيء من القلق :

ـ وأين رأيتني هذا الصباح ؟

ـ صدفة . يخيل الي دائما أن فيك شيئا يشبه ما في ... هيا اطمئن فانني لست مزعجا الى هذا الحد . لقد تعلمت كيف أتفق مع الماكرين . انني لم أزعج الامير سفيربيئي ـ أحد أقربائي البعيدين وأمير كبير ـ من أجل مجموعة السيدة بريلوكوف . وقد عرفت كيف أنظم أبياتا في عذراء رافائيل . لقد عشت سبع سنين مع مارت بيتروفنا دون أن أستسلم لأية ثورة ، ونمت من قبل في منزل فيازمسكي المطل على « سوق العلف » ، ويجوز أن أصعد بالمنطاد مع برغ ...

ـ هيا ... حسنا ! اسمح لي أن أسألك عما اذا كنت حقا تعول على السفر .

ـ أي سفر ؟

ـ ماذا ؟ هذا السفر العتيد الذي تحدثت عنه منذ حين !

ـ السفر ؟ آه نعم ... في الحقيقة انني تحدثت معك عن السفر ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

حسنا انها مسألة واسعة جدا ... ليتك تعلم ما في سؤالك هذا ...
ثم أضاف بضحكة قوية صغيرة :
ـ علني أتزوج بدلا من هذه الرحلة أو أجد لنفسي خطيبة .
ـ هنا ؟
ـ نعم .
ـ هل كان لديك الوقت الكافي من أجل هذا ؟
ـ مع هذا ، فانني يجب أن أرى أفدوتيا رومانوفنا مرة واحـــدة ، وانني أسألك ذلك جديا . هيا الى اللقاء ... آه نعم ... كدت أنسى ... قل لأختك أفدوتيا رومانوفنا بأن مارت بيتروفنا قد تركت لهـــا بموجب وصيتها ثلاثة آلاف روبل . انها الحقيقة الحقة . لقد اتخـذت مارت بيتروفنا احتياطاتها قبل موتها بثمانية أيام ، وقـــد حدث الامر بحضوري ، ولسوف تستطيع أفدوتيا رومانوفنا أن تقبض المبـلغ خلال أسبوعين أو ثلاثة أسابيع .
ـ هل تقول صدقا ؟
ـ نعم . قل ذلك لها .. هيا .. خادمك . انني أقطن قريبا من هنا .
وعندما خرج ، اصطدم سفيدريكايلوف على العتبة برازوميخين !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٣

كانت الساعة قد أشرفت على الثامنة ، وعلى ذلك فقد راحا يحثان الخطى للوصول الى منزل باكالييف قبل لوجين .

سأل رازوميخين حال بلوغه الشارع :

ـ من كان الرجل ؟

ـ انه سفيدريكايلوف ، ذلك الملاك الذي تعرضت أختي عنده للمهانات عندما كانت تعمل مدبرة لمنزله ، لقد اضطرت الى التخلي عن عملها لأنه كان يغازلها ، وقد طردتها زوجة هذا السيد المدعوة مارت بيتروفنا . ثم ان هذه المارت بيتروفنا نفسها عادت بعدئذ تعتذر لدونيا وقد ماتت مؤخرا موتة فجائية . لقد كنا نتحدث عنها منذ قليل . لست أدري لم أخاف خوفا شديدا من هذا الرجل . لقد وصل بعد دفن زوجته مباشرة ، وهو شاذ جدا ، ومزمع على القيام بعملية معينة .. ويبدو عليه أنه يعرف أمرا ... ينبغي حماية دونيا منه ... هذا ما أردت أن أقوله لك ، فهل سمعت ؟

ـ حمايتها ؟ ماذا يستطيع أن يعمل ضد افدونيا رومانوفنا ؟ هيا ... أشكرك ، يا روديا ، على أنك خاطبتني على هذا النحو . لسوف نحميها !... أين يقطن ؟

ـ لست أدري !

ـ لم لم تسأله ؟ يا للأسف ! على كل لسوف أعرفه .

فسأل راسكولنيكوف بعد صمت قصير :

ـ هل رأيته ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ طبعا . لقد لاحظته تماما .

فقال راسكولنيكوف بالحاح :

ـ هل رأيته ؟

ـ طبعا . لقد لاحظته تماما .

فقال راسكولنيكوف بالحاح :

ـ هل رأيته جيدا وبوضوح ؟

ـ طبعا . وانني أذكر وجهه . لسوف أتعرف عليه بين ألف رجل. انني أذكر الوجوه دائما .

وعاد الى الصمت من جديد .

غمغم راسكولنيكوف :

ـ هم ..! ذلك أن ... ذلك أن ... ماذا أقول ... لقد خيل لي ... يخيل لي دائما ... أن ذلك ليس الا وهما .

ـ ماذا تريد أن تقول ؟ أنا لا أفهمك تماما .

تابع راسكولنيكوف ، وهو يغتصب ابتسامة :

ـ هذا هو الأمر ! انكم تقولون جميعا بأنني مجنون . ولقد خيل الي منذ حين أنني قد أكون مجنونا حقا وأنني لم أرَ أشباحا .

ـ ماذا تقول هنا ؟

ـ من يدري ! لعلني مجنون حقا ، ولعل كل ما وقع خلال هذه الأيام الأخيرة لم يحصل الا في مخيلتي .

ـ آه روديا ! لقد أقلقوا فكرك من جديد !... لكن ماذا قال لك؟ لماذا جاء ؟

لم يجب راسكولنيكوف على هذا السؤال ، فاستغرق رازوميخين لحظة في التفكير وأخيرا قال :

ـ هيا ... اليك تقريري : لقد ذهبت الى غرفتك فوجدتك نائما،

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ثم تناولنا طعام الغذاء وبعده ذهبت الى منزل بورفير . كان زاميوتوف موجودا هناك . أردت أن أتحدث غير أنني لم أفد شيئا من ذلك لأنني ما كنت أتوصل الى التحدث كما ينبغي ، فلم يفهما تماما الهدف الذي كنت أنشده . لكنهما ما كانا يبديان أي خجل . جذبت بورفير الى النافذة ورحت أوبخه بشدة ، ولكن دون جدوى كذلك . لقد كان ينظر الى اتجاه وكنت أنظر الى آخر ! وأخيرا وضعت قبضتي تحت « شدقيه » وقلت له بأنني سأحطمه رغم أنني قريب له . فاكتفى بالنظر الي وعندئذ بصقت احتقارا وخرجت . هذا كل ما في الأمر . انه سخف ، سخف وحماقة . أما مع زاميوتوف ، فانني لم أتحدث بأية كلمة . على أنني ــ بعد ما فكرت في أنني أفسدت كل شيء ــ خطرت ببالي فكرة مفاجئة وأنا أهبط السلم ، فكرة سكبت على قلبي الهدوء والبلسم . قلت لنفسي : لمَ نسخط ونغضب أنا وأنت ؟ فلو أنك كنت معرضا لخطر ما وكان في الأمر شيء ، لعرفنا ذلك وفهمناه . لكن ماذا يهمك من هذا كله ؟ فلا ضلع لك في كل ذلك . واذن تجاهلهم ولسوف نسخر منهم في المستقبل . لو أنني كنت في مكانك لسررت غاية السرور بالهزء بهم ... يا له من أمر مخجل بالنسبة اليهم ! ابصق عليهم ، ولسوف نستطيع أن نؤدبهم بالضرب فيما بعد . أما في الوقت الحاضر فلنكتفي بالضحك !

فأجاب راسكولنيكوف :

ــ ذلك بالتأكيد هو الصواب .

وفكر في نفسه قائلا : « لكن ماذا تقول غدا ؟ » ! والغريب أنه حتى تلك اللحظة لم يفكر مرة واحدة في أن يطرح على نفسه السؤال التالي : « ماذا سيفكر رازوميخين عندما يلم بالحقيقة » لذلك فقد نظر بحدة الى وجه رازوميخين عندما طرأت هذه الفكرة لراسكولنيكوف .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لم يكن التقرير الذي قدمه اليه منذ حين عن زيارته لبورفير ليحتل في نفسه موضعا كبيرا لأن عددا من الأشياء الأخرى قد وقع بعد ذلك، كما أن عددا كبيرا آخر قد نسخ تماما !

التقيا بلوجين في الممشى ! كان هذا قد وصل في الساعة الثامنة تماما ، لكنه أضاع بعض الوقت في البحث عن الغرفة حتى أن ثلاثتهم دخلوها معا لكن دون أن ينظر فريق الى آخر أو أن يتبادل معه التحية ! دخل الشابان في المقدمة ، أما بيير بيتروفيتش فانه تأخر قليلا في فسحة المدخل لينزع معطفه ، وهو حريص كل الحرص على مراعاة قواعد اللياقة . هرعت بولشيري ألكسندروفنا على الفور لاستقباله على العتبة بينما كانت دونيا تتبادل تحية مع أخيها ، ودخل بيير بيتروفيتش فحيا السيدتين بلطف كاف رغم ما أودع تحيته من الاحترام المناسب للظرف. كان يبدو عليه الارتباك لأنه لم يكن قد تمالك نفسه، وكانت بولشيري ألكسندروفنا مرتبكة بعض الشيء فبادرت الى اجلاس الضيوف حول مائدة مستديره كأن ماء سماور يغلي فيه عليها ، وجلست دونيا مقابل لوجين على طرفي المائدة . أما رازوميخين وراسكولنيكوف فقد جلسا قبالة بولشيري ألكسندروفنا ، فكان رازوميخين قريبا من لوجين بينما كان راسكولنيكوف بجانب أخته .

مضت فترة صمت ، وأخرج بيير بيتروفيتش ببطء منديلا من « الباتيستا » نشره فانتشر منه عطر نفاذ ، وأدناه من أنفه فتمخط فيه وهو يحافظ على مظهره كرجل أهين في كرامته فقرر ــ رغم عطفه ــ أن يطلب تفسيرا عن هذا التصرف . خطر له منذ أن كان في الردهة ألا يخلع معطفه ، وأن ينسحب فيفرض بذلك عقابا قاسيا على السيدتين ، يجعلهما تفكران فورا في تصرفهما . غير أنه كان من أولئك الذين لا يحبون المجهول في الامور وها قد عرض له أمر أحب أيضاحه : اذا كانت أوامره

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قد خرجت بكل هذه الصراحة فينبغي أن يكون هناك سبب ، لذلك فان من الانسب أن يبقى ليريح باله بأسرع ما يمكن وليعرف السبب ، ولسوف يكون لديه من الوقت ما يجعله قادرا دائما على انزال العقاب وهو الذي يملك الوسيلة لانزاله بهما .

سأل بلهجة رسمية مخاطبا بولشيري ألكسندروفنا :

ـ آمل أن تكون رحلتك موفقة !

ـ حمدا لله ، يا بيير بيتروفيتش .

ـ سرني أن علمت ذلك ! هل لم تتعب أفدونيا رومانوفنا كذلك ؟

فأجابت دونيا :

ـ انني شابة وقوية ، لذلك فأنا لا أتعب . لكن الرحلة كانت شاقة على أمي .

ـ ما العمل ؟ ان خطوطنا الداخلية تمتد الى مسافات طويلة . ان أمنا روسيا ـ كما يقولون ـ كبيرة جدا ... لم أستطع البارحة ـ رغم رغبتي القوية ـ أن أكون في استقبالكما وآمل رغم ذلك أن يكون كل شيء قد تم دون عوائق تذكر .

بادرت بولشيري ألكسندروفنا الى القول بلهجة خاصة :

ـ أما هذا فلا ، يا بيير بيتروفيتش . لقد وقعنا في ارتباك شديد . ولو أن الله نفسه ـ كما يبدو ـ لم يرسل لنا البارحة دميتري بروكوفيش لكنا ضعنا بكل بساطة . ها هوذا حاضر .

ثم قدمته الى بيير بيتروفيتش بقولها :

ـ دميتري بروكوفيتش رازوميخين .

فألقى بيير بيتروفيتش على رازوميخين نظرة خالية من البشاشة ، وقال :

ـ كيف ذلك ؟ لقد كان لي سرور معرفته البارحة .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ثم قطب حاجبيه وصمت • كان بيير بيتروفيتش على العموم من ذلك النوع من الناس الذين يظهرون أنفسهم في المجتمعات بمظهر اللطف المتناهي • لكنهم ــ اذا سارت الأمور على غير ما يشتهون ــ يفقدون كل امكانياتهم ويصبحون عندئذ أقرب الى أكياس من الدقيق منهم الى الفرسان الأنيقين الذين يكونون عادة محط انظار الاندية والمجتمعات ! وهكذا عاد الصمت يخيم على الجميع • كان راسكولنيكوف صامتا بعناد ، وكانت أفدونيا رومانوفنا لا تريد الكلام قبل الوقت المناسب ، ولم يكن لدى رازوميخين ما يقوله ، فاضطرت بولشيري ألكسندروفنا من جديد الى خرق السكوت ، فما لبثت بعد أن استنجدت بمواردها الاخبارية القصوى :

ــ لقد ماتت مارت ... تعرف ذلك ؟

ــ كيف لا ، لقد علمت به • لقد أخبرت بموتها منذ اللحظة الاولى ، وكنت على وشك أن أقول لكم بأن أركاد ايفانوفيتش سفيدريكايلوف لم يكد يواري زوجته التراب حتى هرع الى بطرسبورغ • انهـا على الاقل المعلومات الموثوقة التي بلغتني !

سألت دونيا بصوت قلق ، وهي تتبادل النظر مع أمها :

ــ في بطرسبورغ ؟ هنا ؟

ــ تماما • ولا شك انه لم يأت هكذا عفويا دون غاية معينة، خصوصا اذا نظرنا بعين الاعتبار الى تعجيله الرحيل وعلى العموم الى الظروف التي سبقته •

هتفت بولشيري ألكسندروفنا :

ــ رباه ! هل يعقل أن يكون قد جاء الى هنا لمضايقة دونيا ؟

ــ يبدو لي أنه لا مجال لقلقك بصورة خاصة لا أنت ولا أفدونيا رومانوفنا ، اذا كنتما ــ بالطبع ــ ترغبان في تحاشي أي لون من

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

العلاقات معه . وانني من جانبي سأعني بالاستفسار منـــذ الآن عن مسكنه .

فأضافت بولشيري ألكسندروفنا :

ـ آه يا بيير بيتروفيتش ، لن تستطيع أن تصور درجة جزعي لهذا الخبر الذي ذكرته منذ حين . انني لم أره الا مرتين ولقد بدا لي مخيفا رهيبا . انني واثقة من أنه سبب وفاة تلك المـــكينة مارت بيتروفنا .

ـ لا يمكن الحكم على هذه النقطة . ان لدي معلومات دقيقـــة ، وانني لا أعترض على أنه عجل سير الأمور الطبيعي بالمساهمة في جرحها روحيا . أما فيما يتعلق بسلوك الرجل وعقليته فانني من رأيك تمامـــا . انني أجهل اذا كان غنيا في الوقت الحاضر ، ولسوف أعرف بأسرع وقت ما تركته له مارت بيتروفنـــا . لكنني لا أشك في أنـــه ـ لمجرد امتلاكه بعض الامكانيات ـ سيعود في بطرسبورغ الى طراز حياته السابـــق . انه أكثر الرجال انحلالاً وأشدهم اغراقا في المفاسد من كل من هم عـــلى شاكلته ! ان لي من المبررات الكافية ما يجعلني واثقـــا من أن مارت بيتروفنا التي كان لها شقاء التعلق به ودفع ديونه منذ ثمانيـــة أعوام ـ كانت نافعة له كذلـــك لاعتبارات أخرى . فلقـــد توصلت ـ بفضل تضحياتها وتصرفاتها فقط ـ الى خنق قضية اجرامية في مهدهـــا رغم الطابع الحيواني المفرط الذي اتسمت بـــه تلك الجريمة ، والتي كان يمكن أن يذهب بسببها في رحلة الى سيبيريا . هذا هو الرجل اذا شئتم معرفة نوعه !

صاحت بولشيري ألكسندروفنا :

ـ آه ... يا رب !

كان راسكولنيكوف يصغي بانتباه ! وفجـــأة سألت دونيا بصوت خطير ، وهي تضغط على كلماتها :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ هل حقيقة أن لديك معلومات موثوقة حول هذا الموضوع ؟

ـ انني لم أقل الا ما اقتطفته شخصيا وبصورة سرية تامة من فم مارت بيتروفنا • انه لمن المناسب أن نلاحظ كذلك بأن تلك القضية ليست معقدة جدا من وجهة النظر الحقوقية القانونية • في ذلك الوقت كانت تعيش هنا امرأة أجنبية تمتهن الربا الى جانب أشياء أخرى ، اسمها ريسليش ، وأعتقد كما يبدو أنها لا زالت في بطرسبورغ • وكان السيد سفيدريكايلوف على علاقات وديه بل وغامضة مع هذه السيدة منذ أمد طويل : وكانت لها ابنة أخت تعيش بقربها تبلغ على ما أعتقد الخامسة عشرة أو الرابعة عشرة من عمرها ، وكانت صماء خرساء تحتقرها ريسليش وتعذبها كثيرا حتى أنها كانت تستكثر عليها لقمة الخبز وتضربها بشكل وحشي • وذات يوم وجدت تلك الفتاة مشنوقة في غرفة المؤونة • وقد أثبت التحقيق أنها انتحرت • وبعد الشكليات المرعية ، توقفت القضية عند ذلك الحد • غير ان البوليس تلقى أخبارا يثبت أن تلك الطفلة كانت قد•• انتهك عرضها بوحشية من قبل سفيدريكايلوف والحقيقة ان كل هذا لم يكن واضحا تماما ، لأن الاخبار كان مرسلا من قبل امرأة ألمانية أخرى ، غير شريفة كذلك ولا توحي بالثقة • فكان أن أهمل اخبارها آخر الأمر بفضل مال مارت بيتروفنا ومجهودها • ولبثت القضية في حدود الشائعات فحسب • غير أن تلك الشائعة لم تكن خالية من المعاني • ولا شك أنك ، يا أفدوتيا رومانوفنا ، قد سمعت بنفسك ـ لما كنت عندهم ـ قصة ذلك الخادم فيليب الذي مات ضحية سوء المعاملة منذ ست سنين لما أن كان الرقيق مسموحا •

ـ لقد سمعت على العكس بأن فيليب شنق نفسه •

ـ تماما • لكنه كان في قهر شديد أو على الاصح انه دفع دفعا الى وضع حد لحياته بسبب الاضطهادات والاثارات التي كان يستهدف لها من السيد سفيدريكايلوف •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فأجابت دونيا بلهجة جافة :

ـ كنت أجهل ذلك . لقد سمعتهم فقط يروون قصته على شيء من الغرابة : ذلك أن فليب كان على ما يبدو مهووسا ، أي أنه كان خادما فيلسوفا ، وكانوا يعتقدون بأن القراءة قد أثرت في عقله وأنه شنق نفسه فرارا من السخريات أكثر من فراره من ضربات سفيدريكايلوف . لقد كان هذا الأخير في حضوري حسن المعاملة مع خدمه ، بل يمكن القول ان رجاله كانوا يحبونه رغم أنهم كانوا يعزون اليه موت فيلبب .

قال لوجين ملمحا ، وقد علت وجهه ابتسامة مبهمة :

ـ أرى ، يا أفدونيا رومانوفنا ، أن بك ميلا مفاجئا الى معذرته ! الحقيقة هي أنه رجل يفتن النساء ! ان مارت بيتروفنا ـ التي ماتت بشكل غريب جدا ـ لست الا البرهان المؤسف ! كنت أريد فقط أن أعطيك نصيحة لك ولأمك حيال المحاولات التي لن يلبث أن يجددها دون شك بعد حين . أما أنا فانني قانع تماما بأن هذا الرجل لن يلبث حتى ينزل في سجن من السجون بسبب الديون ، وأعتقد بأن مارت بيتروفنا لم تفكر أبدا في أن تتنازل عن جانب من ثروتها لأنها لم تكن تفكر الا في أبنائها . لكنها على افتراض أنها تركت له شيئا ، فان ما تركته لن يتعدى المبلغ اللازم للحياة ، مبلغا قليل الأهمية لا يلبث ان ينفق . بل انه ـ اعتمادا على عادات هذا الرجل ـ لن يكفيه للانفاق عاما واحدا .

فقالت دونيا :

ـ أرجو ، يا بيير بيتروفيتش ، أن نكف عن التحدث في مسألة السيد سفيدريكايلوف . ان ذلك يسبب لي ألما في قلبي .

قال راسكولنيكوف فجأة للمرة الاولى بعد بدء الحديث :

ـ لقد زارني في غرفتي منذ قليل .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فعلت الغمغمات وعبارات الاستغراب في غرفة الاجتماع ، واستدارت جميع الوجوه نحـوه حتى أن بيير بيتروفيتش نفسه اضطرب للخبر ، واسترسل راسكولنيكوف يقول :

ـ منذ نصف ساعة ، بينما كنت نائما ، دخل فأيقظني وقدم الي نفسه لقد كان مرحا غير مرتبك . انه يأمل في أن تتوثق عرى صداقتي معـه . غير أنه يرغب ويلتمس مقابلتك ، يا دونيا . وقد رجاني أن أكون شخصا ثالثا في تلك المقابلة لأن لديه عرضا يريد أن يتقدم به اليك. ولقد حدثني بنوع ذلك العرض . عدا عن ذلك فقد أنبأني بأن مارت بيتروفنا كانت قبل وفاتها بثمانية أيام قد خصصت لك في وصيتها مبلغ ثلاثـة آلاف روبل ، وأن هذا المبلغ سوف تقبضينه في أقرب وقت .

صاحت بولشيري ألكسندروفنا ، وهي ترسم على صدرهـا اشارة الصليب :

ـ حمدا لله . صلي من أجلها ، يا دونيا ، صلي !

فقال لوجين دون أن يتمالك نفسه :

ـ ان القضية صحيحة .

سألت دونيا متلهفة :

ـ ثم ... ثم ... ماذا بعد ؟

ـ ثم قال لي بأنه ليس غنيا ، وأن كل الثروة قد آلت الى أولاده المقيمين الآن لدى عمتهم . وأضاف بأنه يقطن على مقربة من مسكني . أما أين ؟ فانني لا أعرف ، ولم أسأله .

وسألت بولشيري ألكسندروفنا مذعورة :

ـ لكن ماذا يريد أن يعرض على دونيا ؟ هل قاله لك ؟

ـ نعم ، لقد قال لي .

ـ ما هو ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ سأقوله فيما بعد !

صمت راسكولنيكوف وانهمك يشرب الشاي الذي كان في قدحه ... وأخرج بيير بيتروفيتش ساعته فنظر اليها ثم قال بلهجة الملسوع :

ـ لدي عمل مهم وعاجل يقتضي وجودي ، فلن أزعجكم أكثر من ذلك .

وراح يتناهض ، فقالت دونيا :

ـ ابقَ يا بيير بيتروفيتش. لقد كنت ترغب في قضاء أمسيتك معنا. ثم انك كتبت بنفسك أن لديك شيئا تريد أن تتفاهم عليه مع أمي .

فأجاب بلهجة العبوس المتجبر ، وهو يعاود الجلوس دون أن يترك قبعته من يده :

ـ تماما ، يا أفدونيا رومانوفنا . كنت في الحقيقة أريد التفاهم مع السيدة أمك حول نقاط على غاية من الخطورة . لكن لما كان أخوك لا يستطيع أن يبين أمامي بعض عروض السيد سفيدريكايلوف ، كذلك أنا فانني لا أريد بل لا أستطيع أن أفسر ما أريد ، بحضور شخص ثالث ، حول موضوع معين ذي أهمية غاية في الدقة . أضف الى ذلك أنني ألاحظ بأن رجائي الحار الذي تقدمت به بعبارات واضحة وبينة جدا لم يُلق بال اليه ..

وصمت لوجين وغدا وجهه مكفهرا وغرق في سكون ملؤه المهابة. فقالت دونيا :

ـ لقد طلبت ألا يحضر أخي المقابلة التي ستجري بيننا . واذا كان رجاؤك هذا لم ينفذ فذلك لأنني أردت أن يكون كذلك . لقد كتبت لي تقول : « انك أهنت من قبل أخي . انني أوافق على وجوب ايضاح هذه الناحية واحلال التفاهم بينكما محل الخصام . فاذا كان روديا حقيقة قد جرح كرامتك فيجب عليه ـ والحالة هذه ـ أن يتقدم اليك باعتذاراته

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ولسوف يتقدم بها .

فأجاب بيير بيتروفينش بلهجة التأكيد :

ـ هناك اهانات يا أفدونيا رومانوفنا لا يمكن نسيانها مهما بذل الانسان في سبيل ذلك من ارادة . هناك حد لا يجوز تجاوزه دون عقاب لأنه اذا اجتيز أول مرة فانه من المستحيل التراجع عنه بعد ذلك .

فقاطعته دونيا بشيء من نفاذ الصبر قائلة :

ـ انني لم أحدثك عن هذا بالضبط . أرجو أن تفهم بأن سعادتنا المقبلة متعلقة على النقطة التالية : « هل ستسوى الأمور بعد ايضاحها أم لا ؟ » انني أخطرك بصراحة منذ الآن بأنني لا أجد طريقةأخرى لانهاء هذه القضية ، فاذا كنت تحبني ولو قليلا وجب الانتهاء اليوم من هذه القضية مهما كان الثمن . أكرر القول بأن أخي اذا كان مخطئا فانه سيعتذر .

أجاب لوجين وقد ازداد غضبا :

ـ يدهشني يا أفدونيا رومانوفنا أن أسمعك تضعين السؤال بهذه العبارات . انني أستطيع كما أرى أن لا أحب واحدا من أفراد أسرتك بالوقت الذي أكون فيه ميالا اليك ، أو بعبارة أصح أكون محبا لك حتى العبادة . انني على الرغم من رغبتي في الحصول علىسعادة الزواج منك لا أستطيع كذلك التغاضي عن اعتبارات لا يمكن الاستغناء عنها .

فقاطعته دونيا بصوت منفعل :

ـ آه ! هدىء انفعالك ، يا بيير بيتروفيتش . أرجو أن تكون ذلك الرجل الذكر النبيل الذي تصورته في شخصك دائما . لقد قطعت لك على نفسي عهدا كبيرا . وانني خطيبتك . فثق بي فيهذه المسألة، وتأكد من أنني سأحاكم فيها دون أن أتحيز الى جهة ما . ان اقامة نفسي حكما بينكما لا يمكن أن يثير أيه دهشة لدى أخي وكذلك لديك . انني اليوم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عندما دعوته اثر استلامي رسالتك ، لم أخبره أبدا بنواياي . فأرجو أن تفهم أنكما اذا لم تتفقا فان واجبي يقتضيني الانتقاء بينكما ، فاما أنت واما هو . ذلك هو السؤال الذي وضعتماه كل من جانبه ! انني لا أريد ولا يجب أن أخدع في هذا الانتقاء اذ ينبغي لي أن أقطع صلاتي بأخي من أجلك ، أو أن أقطع صلاتي بك من أجله . لذلك فانني أريد أن أعرف في هذه اللحظة ــ وسوف أعرف ــ اذا كان روديا أخي حقيقة . أما أنت فالمسألة بالنسبة اليك هي : هل تحبني ، هل تميل الي ، هل أنت زوج لي ؟

قال لوجين بلهجة غاضبة :

ــ أفدونيا رومانوفنا ، ان كلماتك تتيح لي مجالا واسعا للتفاسير والتآويل بل انني أقول كذلك أنها كلمات مهينة نظرا للمركز الذي لي شرف احتلاله بالنسبة اليك . هذا اذا تغاضينا عما فيها من أشياء جارحة لي وغريبة ، اذ تضعينني على مستوى واحد مع ... هذا الشاب شديد الزهو . وانه ليخيل الي من حديثك أنك تتوقعين امكانية فسخ الوعد الذي قطعتيه على نفسك لي . انك تقولين : « أما أنت واما هو » ، وبهذه الكلمة بالذات تظهرين لي تفاهة الشأن الذي تحتفظين به لي . انني لا أستطيع تقبل ذلك نظرا لعلاقاتنا والواجبات القائمة بيننا .

صاحت دونيا ، وقد احمر وجهها من الغضب :

ــ كيف ؟ انني أضع مصلحتك في الميزان مقابل كل ما لي في الحياة من ثمين حتى الآن ، كل ما تقوم عليه حياتي ، ثم تشكو بعد ذلك من أنني أبخسك حقك ؟

ابتسم راسكولنيكوف ابتسامة مريرة بينما أخلد رازوميخين الى الصمت . أما بيير بيتروفيتش فقد تغاضى متعمدا عن هذا الجواب . وغدا من حين الى حين أكثر غضبا وانفعالا . وقال بلهجة حكيمة :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ان حب رفيق الحياة المقبل ، حب الزوج ، ينبغي أن ينتصر على الحب الأخوي • على كل حال لا أستطيع أن أتقبل الوقوف على خط واحد معه • وعلى الرغم من أنني صرحت بوضوح منذ حين أنني لا أريد ولا أستطيع أن أفسر سبب زيارتي بحضور أخيك ، فانني على استعداد للتحدث مع والدتك المبجلة لاعطائها كل التفاسير اللازمة حول نقطة جوهرية اعتبرتها أنا مهينة لي •

ثم أردف مخاطبا بولشيري ألكسندروفنا :

ـ ان ولدك أمس بحضرة السيد رازوميخين ـ أو ••• ذلك هو اسمك أليس كذلك ؟ اعذرني اذا كنت نسيت اسمك (وأيد قوله بتحية ودية وجهها مع هذه الملاحظة الى رازوميخين) ـ ان ابنك أهانني بتشويه فكرتي قياسيا ، تلك الفكرة التي أفضيت بها اليك من قبل خلال حديث ودي جرى لي معك ، عندما كنت أتناول القهوة عندك ، ذلك الحديث الذي قلت فيه : ان من رأيي ، بل انه من الافضل من وجهة الحياة الزوجية ، أن يتزوج المرء من فتاة فقيرة تذوقت التعاسة وآلام الوجود على أن يتزوج بواحدة تذوقت كل المباهج ، لأن الاخلاق لدى الفتاة الأولى تجد مجالا أوسع للظهور • لقد بالغ ابنك عامدا في تشويه أقوالي حتى جعلها منافية للعقل بان أتهمني بأسوأ النوايا معتمدا ـ على ما أظن ـ على مراسلتك الشخصية له ، وانني أعتبر نفسي سعيدا اذا أمكنك ، يا بولشيري ألكسندروفنا ، اقناعي بالعكس • لأنك بذلك تسببين لي راحة حقيقية • فاخبريني كيف نقلت عباراتي في رسالتك التي بعثت بها الى روديون رومانوفيتش ، وأي عبارات استعملت فيها •

أجابت بولشيري ألكسندروفنا وقد فقدت هدوءها :

ـ لست أذكر تلك العبارات • ولقد نقلتها اليه كما فهمتها ولا أعرف كيف كررها روديا أمامك • لعله غالى بعض الشيء •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ما كان ليستطيع المغالاة لو لم تنوهي بها اليه •

فقالت بولشيري ألكسندروفنا بلهجة رزينة :

ـ يا بيير بيتروفيتش ، ان الدليل علي أننا ـ دونيا وأنا ـ لم نحمل كلماتك على محمل سيء هو وجودنا هنا •

وعقّبت دونيا تؤيد أمها :

ـ حسبنا جدا ، يا أماه •

قال لوجين منزعجا :

ـ على هذا فأنا المخطىء •

أضافت بولشيري ألكسندروفنا ، وقد شعرت بمزيد من الشجاعة :

ـ ألا ترى ، يا بيير بيتروفيتش ، بأنك تتهم روديون أبدا مع أنك شخصيا كتبت منذ حين في رسالتك أشياء مغلوطة ضده •

ـ لا أذكر أنني كتبت أي شيء مغلوط عنه •

فقال روديا بلهجة مريرة ، دون أن يلتفت الى لوجين :

ـ لقد ذكرت أنني أعطيت النقود البارحة ليس لأرملة رجل مدهوس كما هو الواقع ، بل الى ابنته التي لم أكن حتى ذلك الحين قد رأيتها أبدا ! لقد كتبت ذلك مستهدفا اثارة خصام بيني وبين أسرتي ، وأضفت ـ لتجعل التنافر أكثر امكانا ـ تلميحات بشعة كريهة جدا حول سمعة فتاة لا تعرفها • ان ذلك ليس الا هجوا ونذالة •

فأجاب لوجين ، وهو يرتجف من الغضب :

ـ أعذرني ، يا سيدي ، انني اذا كنت تبسطت في رسالتي حول أعمالك وصفاتك فما ذلك الا استجابة لرغبات أمك وأختك اللتين رجتاني أن أطلعهما عن الشعور الذي تحدثه في نفسي • أما فيما يتعلق بالوقائع الواردة في رسالتي فحاول أن تجد فيها سطرا واحدا يحمل معنى بعيدا عن الحقيقة ، أو على الاصح يكذب أنك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor